المجلة الدولية للاجتهاد القضائي
International Journal of Legal Interpretative Judgement
المجلد 04، العدد 15
ISSN : 2748-5056

"العلاقات الدولية في الإسلام صلح الحديبة أنموذجاً"

"International relations in Islam Salih hudaybiya as an example"

إعداد الباحثين:

Preparation of researchers:

زياد عبد الله محمد طروه

Ziad Abdallah Mohammed Tarawa

Email:Ziad tarawa2015@gmail.com

باحث دكتوراه في برنامج الفقه وأصوله/ جامعة القدس/فلسطين

PhD researcher in the program of jurisprudence and its origins / al-Quds University / Palestine

الدكتور مراد رائق رشيد عودة

Murad Rayiq Rashid Awdah

Email: morad_r73@yahoo.com

محاضر في جامعة النجاح الوطنية

Lecturer at An-Najah National University

الملخص:

يريد الباحثان من بحثهما أن يبينا فعل النبي ﷺ وتعامله مع الكفار والدول؛ إنما هو ناتج عن فهم ووعي وعبقرية نبي جاء ليحق الحق ويبطل الباطل، وما كانت تلك المعاملة مجرد أحداث تسرد في كتب السير، بل لها عمقها التاريخي في بناء الدول ونشر الإسلام، ولذا جاء هذا البحث ليؤكد أن صلح الحديبية ليس مجرد حدث تاريخي، بل هو دستور للقادة والجند في صناعة الدولة وبنائها الداخلي، والتعامل مع العدو الخارجي في السلم والحرب. وبهذا فقد جاء البحث بعنوان **صلح الحديبية أنموذجاً في العلاقات الدولية** وقد تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث رئيسة وتحت كل مبحث عدة مطالب.. **والمبحث الثاني**: العلاقات الدولية في الإسلام

صلح الحديبية أنموذجاً ويتكون من خمسة مطالب، **أما المبحث الثالث**: مقاصد الحديبية وفقه المعاهدات والاتفاقيات الدولية ويتكون من أربعة مطالب.

وقد خلص البحث إلى أهم النتائج:

1. إن الإسلام منهج حياة، شامل لكل مناحي الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية والعسكرية صالح لكل زمان ومكان.
2. إن الصبر على مشاق الدعوة في الأزمات هو الذي يصنع الانتصارات والتمكين في الأرض، لأنه من عوامل الاستخلاف.
3. إن حسن الاستماع للقائد وإن غاب عن ذهن الجندي الأمور الغامضة، فلا بد من التروي قبل اتّهام القائد بالجبن.
4. إن مبدأ الشورى من مقاصد الشريعة الإسلامية، التي جاءت لتبين أهميته وضرورة تطبيقه لا إبعاده.

الكلمات المفتاحية: العلاقات الدولية، فقه المعاهدات، فقه المآلات، المقاصد، السلم والحرب، صلح الحديبية.

Abstrac:

The researcher wants from his research to show the action of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) and his dealings with infidels and countries; but it is the result of understanding, awareness and genius of a prophet who came to right the truth and nullify falsehood, and this treatment was not just events listed in biographies, but has its historical depth in building states and spreading Islam, so this research came to confirm that the hudaybiya peace is not just a historical event, but a constitution for leaders and soldiers in the state industry and internal construction, dealing with the external enemy in peace and war. Thus, the research entitled The peace of Hudaybiya came up with a model in international relations, and the research was divided into three main research and under each research several demands. The second topic: international relations in Islam, the reconciliation of Hudaybiya as a model and consists of five demands, while the third topic: the purposes of Hudaybiya according to the jurisprudence of .international treaties and agreements and consists of four demands

:The research has concluded the most important results

1. Islam is a way of life that encompasses all aspects of social, religious, economic and military life and is valid for all times

المقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فجعله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وجعل فيه أسوةً حسنةً لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً، وفجر ينابيع الرحمة والرضوان تفجيراً، فاللهم صلِ وسلم وزد وبارك عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

ثم أما بعد:

لقد جاء الإسلام صالح لجميع مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية والصحية والتربوية، ولم يترك شيئاً إلا وتحدث عنه، وجاء بالحلول لها وفق منهج إسلامي إنساني عالمي قويم صالح لكل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[463]، وحينما أخذ المسلمون بهذا المنهج الإلهي الرباني، سادوا الأمم وأصبح الصحابة رضوان الله عليهم من رعاة أبل وغنم إلى قادة أمم ودنت لهم العرب والعجم، لكن عندما تخلفنا عن هذا المنهج السماوي، وتركنا كتاب ربنا وسنة نبيا ﷺ، أصبحنا في ركب الأمم لا قيمة لنا غثاء كغثاء السيل.

ولن تقوم لهذه الأمة قائمة في وقتنا الحاضر، إلا إذا تشبثت بالكتاب والسنة، أتباعاً لهدي نبينا ﷺ حيث قال: "**إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدِي**"[464]، -كتاب الله وسنتي- ومن خلال هذا المنهج نستطيع أن نسود العالم ويرجع عز الإسلام والمسلمين كما كان في عهد الأولين من السلف الصالح.

لذا جاء هذا البحث كأنموذج في العلاقات الدولية في الإسلام، واتخذت صلح الحديبية أنموذجاً نبوياً إسلامياً في التعامل مع الأزمات، من أجل الحفاظ على الدم المسلم، إذ إن الإسلام لم يأتِ لسفك الدماء، وليس متعطشاً لها؛ بل دافع عن حرمة الدماء لذلك أردت في هذا البحث توضيح أن الإسلام له أصوله في بناء العلاقات مع الدول، وفي وضع الاتفاقيات، وكيفية إدارة الأزمات، وذلك نابع عن تلك العقلية المحمدية العبقرية، في الحفاظ على السلم الدولي.

وسيتحدث الباحث في هذا البحث عن **العلاقات الدولية في الإسلام صلح الحديبية أنموذجاً** وفيه بيان تاريخ العلاقات الدولية في الإسلام، وعالمية الإسلام وإنسانيته، ومنهج الإسلام في الحرب والسلم، وما هو الدافع والباعث للحرب، وتوضيح علاقة صلح الحديبية في العلاقات الدولية في السياسة والاقتصاد والاتفاقيات وغيرها.

وختاماً لا نجاة للبشرية مما هي فيه من خوف وقلق وتخبط، إلا المنهج الذي جاء به محمد ﷺ، فهو المنهج القويم السديد الذي فيه حلاً لمشاكل العالم المتراكمة في كل مجال من مجالات الحياة، فالشريعة الإسلامية العادلة، التي جاء بها رسولنا ﷺ هي صمام الأمان الدائم للبشرية.

([463]) سورة الأنبياء، الآية (107).

([464]) سنن الترمذي: 622/5، كتاب المناقب، باب 32، مناقب أهل بيت النبي ﷺ، حديث رقم (3788) ، رقم الصفحة (377/5) ، وحكم عليه أنه حديث حسن غريب.

وقد كتب أستاذ العلماء البلغاء القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني إلى الراغب الأصفهاني معتذراً له عن كلام استدركه عليه فقال: **"إني رأيت أنه ما كتب أحدهم في يومه كتاباً إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد ذاك لكان يُستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو تُرك ذاك لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"**[465].

طريقتي في كتابة البحث:

1. اتبعت المنهج العلمي الذي تعتمده المؤسسات العلمية في كتابة الأبحاث المحكمة.
2. ثم عزوت النصوص من آيات وأحاديث وأقوال إلى قائليها، ووثقتها من مصادرها الأصيلة.
3. وقد أبرزت وأظهرت شخصية الباحث في البحث، من خلال ربط الماضي بالحاضر، واستخلاص الدروس والعبر.

مشكلة البحث:

ونستطيع الإجابة عنها بما يلي:

1. ما هو تاريخ العلاقات الدولية قديماً وحديثاً.
2. هل علاقة الإسلام بغيره، علاقة عالمية إنسانية.
3. كيف كانت العلاقات الدولية قبل الإسلام وبعده.
4. هل كان صلح الحديبية أنموذجاً، لبناء العلاقات الدولية السياسية والاقتصادية في الإسلام.
5. هل جاء الإسلام بالحرب أم بالسلم، وكيف التعامل معهما.
6. كيف يتعامل الإسلام بالمعاهدات مع الغير، ولما تبنى المعاهدات.

أهداف البحث:

ويهدف البحث للوصول إلى ما يلي:

1. بيان تاريخ العلاقات الدولية قديماً وحديثاً.
2. توضيح علاقة الإسلام بغيره، وإظهار عالميته وإنسانيته.
3. العمل على بيان كيف كانت العلاقات الدولية قبل الإسلام وبعده من خلال فهم صلح الحديبية.
4. بيان أن الإسلام لم يأتِ بالحرب، ودليل ذلك صلح الحديبية.
5. الوصول إلى العبقرية الإسلامية، في عقد المعاهدات والاتفاقيات والمحافظة عليها.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث فيما يلي:

1. بيان مرونة الشريعة الإسلامية، وإنها صالحة لكل مكان وزمان، وإنها من عند الله رب العالمين، وتعالج المستجدات والقضايا الشائكة، وفيها صلاح البشرية.

[465] البيساني: في ترجمة السير (338/21)، الأصفهاني: في ترجمة السير (345/21)، البيساني: في أبجد العلوم وكشف الظنون (71/1).

2. إظهار قدرة الإسلام، على التعامل مع إدارة الأزمات، واتخاذ القرارات في المواقف الصعبة، ومتى يعقد الاتفاقيات والمعاهدات، وكيفية التعامل معها، إن نقضها الطرف الآخر.
3. إتباع السبل الحديثة والمعاصرة، في بناء العلاقات الدولية مع المجتمعات الأخرى، المعادية والسلمية، والعمل على ترسيخ عالمية الإسلام وإنسانيته في أذهان المجتمعات غير المسلمة.

منهج البحث:

اتبع الباحث في بحثه عدة مناهج من أجل إعطاء مادة علمية فيها الفائدة للقارئ حتى يكون البحث ذات طابع علمي:

المنهج الوصفي التحليلي:

من خلال التمعن في الكتب والأبحاث التي كتبت في هذا الباب، قام الباحث باستخراج واستنباط أهم المواضيع، التي يمكن الاعتماد عليها، في كتابة وصياغة البحث، من أجل الوصول للمادة العلمية القوية، ذات الطابع المنهجي.

المنهج الاستقرائي:

وذلك عن طريق استقراء ما وقع بين يدي الباحث من كتب وأبحاث، ذات العلاقة بالموضوع، التي تحدثت عن العلاقات الدولة وعلاقة الإسلام، وعن نماذج الإسلام في العلاقات الدولية، وصلح الحديبية أنموذجاً يحتذى به.

المنهج التاريخي:

كان للمنهج التاريخي دور كبير، في جمع المعلومات التاريخية التي تتعلق بصلح الحديبة، من خلال كتب السير والتاريخ، والبحث في علاقتها مع العلاقات الدولية، وكيفية الربط بينهما قديماً وحديثاً.

الدراسات السابقة:

1. **أصول العلاقات الدولية في الإسلام**: عمر أحمد الفرجاني، وقد تحدث الباحث في بحثه، عن عدة موضوعات منها عالمية الإسلام وأنواع الديار وفقاً لآراء الفقهاء، وبيان الأصل في العلاقات الدولية السلم، وبيان نظرية الحرب، والحديث عن المعاهدات، ثم الموازنة بين القانون الدولي والشريعة الإسلامية.
2. **العلاقات الدولية والأطراف الفاعلة في المجتمع الدولي**: زكريا أزم وعبد الفتاح ولد حجاج، وقد قسم البحث إلى قسمين: الأول ويتضمن العلاقات الدولية في نشأتها وتطورها عبر العصور، والثاني ويتعلق بالأطراف الفاعلة في العلاقات الدولية: نشأة الدولة وماهيتها وأركانها وخصائصها ومعايير تصنيفها.
3. **أصول العلاقات الدولية في الإسلام**: للمؤلف مخلد عبيد المبيضين، وقد تحدث الباحث عن مفهوم وتطور علم العلاقات الدولية، والإسلام والقانون الدولي ونظرية العلاقات الدولية وآفاقها، ومصادر

القانون الدولي والعلاقات الدولية في الإسلام، وظائف وأحكام الممثلين السياسيين وتعطيل العمل الدبلوماسي في الإسلام.

4. **السيرة النبوية للشيخ عبد الرحمن المبارك فوري**: وقد تحدث في كتابه عن أحداث السيرة النبوية، من الناحية التاريخية والشرعية، وتطرق لحادثة صلح الحديبة كغيرها من أحداث التاريخ الإسلامي وسيرة النبي ﷺ.
5. **صلح الحديبة وأبعاده السياسية المعاصرة**: للدكتور عبد الحكيم الصادق الفيتوري. باحث وأستاذ جامعي. وتحدث فيه عن صلح الحديبية باستقراء نصه، ثم تحدث عن الأبعاد السياسية للحديبية، وفيه مبدأ التصالح ومبدأ الهدنة ومبدأ التفاوض وغيرها، ثم تحدث عن مفاهيم في السياسة الشرعية ثم الخاتمة والتوصيات.
6. **العلاقات الدولية في الإسلام للإمام محمد أبو زهرة**: وتحدث الشيخ عن دعائم العلاقات الإنسانية في الإسلام وسريانها في العلاقات الدولية، والعلاقات الدولية حال السلم والحرب واعتبار الحرب حالاً عرضية.

ما يُميّز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات السابقة:

جاء هذا البحث مختلفاً، عما سبق ممن كتبوا في المسألة، بأن طرحت المسألة في بحث مستقل، وناقشتها من جميع الجوانب، فبعض الباحثين تناولوا جانباً دون جانب، فقد ذكرها من كتب في السير والتاريخ والعلاقات الدولية كباقي المسائل دون إفرادها في بحث مستقل، ومن أفردها منهم عالج جانباً وأغفل آخر، لذا جاء هذا البحث ليجمع بين المنهجين، بين منهج العلاقات الدولية في الإسلام، ومنهج إعطاء أنموذجاً لذلك **وهو صلح الحديبة في منظور العلاقات الدولية في الإسلام** دون التطويل الممل ونقل النصوص الكثيرة، والتقصير المخل الذي يفقد النص معناه، متبعاً المنهج العلمي في الكتابة والتوثيق.

خطة البحث:

وقد أنبنى هذا البحث من مقدمة، وملخص، وخاتمة، وثلاث مباحث رئيسة، وتحت كل مبحث عدة مطالب:

المبحث الأول: مدخل للعلاقات الدولية في الإسلام ويتكون من أربعة مطالب:

المطلب الأول: تمهيد ونظرة عامة في تاريخ العلاقات الدولية.

المطلب الثاني: عالمية الإسلام وإنسانيته في العلاقات الدولية.

المطلب الثالث: منهج الإسلام في السلم والحرب.

المطلب الرابع: الدافع على القتال في الإسلام.

المبحث الثاني: صلح الحديبية أنموذجاً في العلاقات الدولية ويتكون من خمسة مطالب.

المطلب الأول: مدخل في فهم صلح الحديبة.

المطلب الثاني: الحديبية والسياسة الدولية.

المطلب الثالث: الحديبية وتعظيم حرمات الله.

المطلب الرابع: الحديبية ومبدأ التفاوض والحوار.

المطلب الخامس: الحديبية ومبدأ المصالحة والمحالفة.

المبحث الثالث: مقاصد الحديبية وفقه المعاهدات والاتفاقيات الدولية ويتكون من أربعة مطالب.

المطلب الأول: مقاصد الشريعة في فقه المعاهدات والاتفاقيات.

المطلب الثاني: مقاصد الحديبية والاعتراف بها دولياً.

المطلب الثالث: مقاصد الهدنة بين الدول في ضوء صلح الحديبية.

المطلب الرابع: مقاصد الشورى في ضوء صلح الحديبية.

المبحث الأول:

مدخل للعلاقات الدولية في الإسلام:

المطلب الأول:

تمهيد ونظرة عامة في تاريخ العلاقات الدولية [466]:

منذ بدأ الخليقة والإنسان مفطور على التواصل والاحتكاك بالآخرين، وهذا الذي جعل الإنسان يبني المجتمعات، بعد أن تطورت تلك المجتمعات فأصبحت مدن وبلدان وتفرق الناس في مشارق الأرض ومغاربها بحثاً عن الحياة، وبدأت المجتمعات تتطور شيئاً فشيئاً، حتى أصبح لها حضارات وشرائع وقوانين تحكمها، ومع تطور الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعسكرية لدى تلك البلدان، وأصبح لها سياسات ومنهجيات وقوانين في التعامل مع الغير في حالتي السلم والحرب والدفاع عن النفس، صار واضحاً جلياً أن أي علاقة مع الغير مبنية على مصلحة سواء كانت ظاهرة أم خفية، فأصبحت تلك العلاقات لها منهج ودستور عند الدول.

وقد تطورت العلاقات الدولية بتطور الحياة البشرية ونظمها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فالعلاقات الدولية في الدول القديمة ليست كما هي اليوم، كما أن الفاعلين فيها ليس هم أنفسهم، كما أنهم ليسوا بنفس القوة فقد شهدت العلاقات الدولية تطورات وتحولات جذرية من حيث نطاق تفاعلاتها وتنوع قضاياها ومشاكلها.

[466] زكريا أزم وعبد الفاتح: زكريا أزم وعبد الفتاح حجاج، العلاقات الدولية والأطراف الفاعلة في المجتمع الدولي، ص (7). الفرجاني: عمر أحمد الفرجاني، أصول العلاقات الدولية في الإسلام، ص (20/19).

وبعد انتشار المسلمين في بقاع الأرض يبشرون بتعاليم الإسلام السمحة، وبعد نجاحهم في دخول أوروبا والهند والصين في الإسلام، الأمر الذي جعل وصول خلافات ومشاكل بين رسل الدعوة الإسلامية وكفار تلك الدول التي وصلتها الدعوة الإسلامية، وتمسك كل فريق بما هو عليه أهل الهدى على هداهم، وأهل الضلال على ضلالهم.

مما دفع المسلمين حينها إلى وضع أسس وقواعد ينطلقون من خلالها في التعامل مع تلك الدول الكافرة، من أجل تنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم في التعايش، فكانت المرحلة تتطلب وضع استراتيجية للسير عليها. **فقسموا البلاد إلى قسمين دار إسلام ودار كفر.**

وبهذا التقسيم يتسنى معالجة الأمور السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية وما يندرج تحتها من أحكام تتعلق بالمعاملات الحيوية على اختلافها والتي تمس في صميم حياتهم الدينية والدنيوية، ورغم كل ما يقال عن العلاقات الدولية بأنها علم حديث النشأة نسبياً، إلا أنه ومما لا شك فيه فقد مارست الأمم والحضارات القديمة على مر العصور العلاقات الدولية بمختلف أشكالها مع نظرائها من الدول والحضارات.

لكن السؤال هل كانت الحضارات القديمة تعرف العلاقات الدولية وتتعامل معها، وكيف كانت تتعامل معها، هذا ما سنتطرق إليه في هذا التمهيد إن شاء الله تعالى.

أولاً: العلاقات الدولية قديماً:

مر على مصر ثلاث دول: قديمة ووسطى وحديثة، وتعاقب على حكمها ثلاثون أسرة حاكمة، وخلال تلك الفترات والحكم كان لمصر علاقات خارجية بينها وبين جيرانها، وقد كانت مصر السابقة في التعامل مع العلاقات الدولية في العالم القديم، وكانت مصر تتبع قواعد تقوم على انتهاج سياسة خارجية قائمة على مبدأ توازن القوى وسياسة تقديم المعونات المالية والمادية، بالإضافة إلى الزواج و المصاهرة والتجارة، وإن دل هذا إنما يدل على كون الحضارة المصرية مارست ما يصطلح عليه في زماننا هذا بالعلاقات الدولية، وقد مارستها من خلال الاتفاقيات التي أبرمتها مع جيرانها من خلال المبعوثين الدوليين سواء كانوا مرسلين منها أو إليها [467].

وكانت اليونان قديماً ذات مساحة صغيرة، وتتمتع بطبيعة كالجبال والبحار، وكانت دويلات صغيرة تعتمد على التجارة الخارجية، وكانت العلاقات الخارجية بين هذه الدويلات تقوم على المنافسة وروابط المصلحة وتحل المشاكل بينها بالوسائل الدبلوماسية [468]. وعلى الرغم من أن العالم اليوناني كان منقسماً، إلا أنهم أوجدوا قواعد عامة لتنظيم العلاقات الدبلوماسية بينهم، وطبقوا أعراف الحصانة الدبلوماسية، وقواعد

(467) زكريا أزم وعبد الفاتح: زكريا أزم وعبد الفتاح حجاج، العلاقات الدولية والأطراف الفاعلة في المجتمع الدولي، ص (20/19/18).

(468) أنور فرج: نظرية الواقعية في العلاقات الدولية، أنور محمد فرج، ص (27).

حماية الأجانب، والغاية الأساسية من ذلك هي التواصل إلى مبادئ عامة جديدة تحفظ المصالح المشتركة، وتلزم الأعضاء بتطبيقها، ونخلص أنه كانت علاقات دولية بين الدويلات اليونانية فيما بينها، قائم على السلم والتعاون المشترك، وبين غيرها قائم على الحرب[469].

وكذلك الأمر عند المسلمين قديماً، كانت العلاقات الدولية لها وجود وأثر في تعامل المسلمين مع غيرهم من غير المسلمين، فمنهم من قال إن الأصل في العلاقات الدولة بين المسلمين وغيرهم من شعوب الأرض قائم على السلم لأن الإسلام جاء رحمة للعالمين، ولم يأتِ لسفك الدماء بل جاء لرفع الظلم عن المظلومين وإحقاق الحق وإرساء مبادئ الإسلام ولا يكون ذلك إلا بالدعوة السلمية والتعامل الطيب الذي جاء به الأنبياء من قبل. ومنهم من قال إنه قائمٌ على الحرب، إذ أن نشر أي فكرة لا بد لها من قوة تحميها، وحتى يهاب الطرف الآخر ويستسلم لما يُملى عليه، فلولا القوة ما استطاع محمداً ﷺ من فتح مكة بعد أن أخرجه قومه منها.

ولكن يمكن القول بأن نجمع ما بين المنهجين، منهج السلم ومنهج الحرب، بأن الإسلام يحتاج إلى قوة تحمية بها من العدو ويحسب لها إذا ما فكر بالاعتداء، ثم تكون العلاقات قائمة على السلم في الدعوة والتعامل التجاري وغيرها، وبهذا تكون العلاقات سلمية مدعومة بالقوة، تطلبها في أي وقت إن احتاجت إليها، وبهذا نكون قد جمعنا بين السلم والحرب، في العلاقات بين الدول وهذا منهج لا يجيده أي أحد، بل يحتاج إلى عبقرية محمدية في التفكير والتخطيط والتنفيذ.

ثانياً: العلاقات الدولية حديثاً:

ومع مطلع القرن العشرين عرف مجال العلاقات الدولية، وذلك من خلال عدة تحالفات دولية أقامتها الدول الأوروبية، وقد أدت هذه التحالفات إلى ضرب مبدأ توازن القوى عرض الحائط، إضافةً إلى الصراع الدولي في هذه الفترة، فقد ساهمت أسباب خاصة في اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914م، والتي دامت إلى 1918م، وقد كانت هذه حرب أوروبية إلى أن دخلت الولايات المتحدة الأمريكية فحولتها إلى حرب عالمية، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بفرض معاهدات الصلح على الدول المنهزمة، وتشكيل مؤتمر فرساي سنة 1919م، وبذلك ظلت مؤسسة العلاقات الدولية هامشية حتى نهاية الحرب، وقد فشلت عصبة الأمم في تحقيق أهدافها التي أسست من أجلها، لكنها لم تتوقف عن الاستمرار في الاتجاه العالمي بعد الحرب العالمية الثانية، بل اعطاها قوة ودافعية على توطيد السلم الذي حاربت من أجلة، وبتأسيس منظمة الأمم المتحدة تكون العلاقات السياسة الدولية قد أخذت منحى جديداً قائماً على أساس نبذ القوة وعدم استخدامها أو

(469) أبو قنطار: العلاقات الدولية، عبد الوهاب معلمي الحسان بو قنطار، ص (9).

التلويح بها في العلاقات الدولية، وبهذا تكون ظاهرة المنظمات الدولية هي أهم الانجازات التي تحققت في ميدان العلاقات الدولية [470].

لقد كانت العلاقات عند العرب قائمة على شكل يتمشى مع مفهوم عصرهم وكان يغلب عليها العنف والقسوة والكثير من الممارسات الخاطئة [471]. وكانت الحروب عندهم تقوم على أسباب مادية كطلب المرعى أو غير مادية كالأخذ بالثأر [472]، وكانت عند غير العرب لا تقل سوءاً عن الحالة التي كانت عليها عند العرب، فقد كانت العلاقات بين القوتين العظيمتين في ذلك الوقت الفرس والروم يشوبهما الاضطراب المؤدي إلى الصراع الدائم بينهما، كما هو الصراع الدائم بين أمريكيا وروسيا. ونخلص من هذا أن العالم قبل مجيء الإسلام كان يعيش على الظلم كقاعدة عامة في التعامل الاجتماعي وبسط السلطان وإخضاع الغير في التعامل الدولي [473].

وبعد ذلك جاء الإسلام والعالم على هذا الحال من الاضطراب والفزع والعداوات ليقرر مبدأ العدل بين الناس أفراداً وجماعات ودول، وجعل الناس شعوبا وقبائل، بقصد التعارف بينهم الذي يعتبر الأساس في ربط الأفراد بعضهم ببعض سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، وجعل ميزان التفاضل بين الناس هو التقوى [474]. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [475].

المطلب الثاني:

عالمية الإسلام وإنسانيته في العلاقات الدولية:

لما كانت العلاقات الدولية تقوم على تقاليد الشعوب وتراثها الثقافي والعرقي والاجتماعي، فقد تنوعت أهدافها ووسائلها وأنماطها بتنوع مصالح وثقافات المجموعات البشرية، فكان لزاماً البحث عن قواسم مشتركة لمبادئ أساسية تحكم العلاقات والقائمين بأمرها، وقد زاد الاهتمام بهذه العلاقات بعد تدعيمها من قبل الديانات المختلفة، لا سيما الإسلام الذي وضع منهاجاً وشرعية واضحين، وحددا العلاقات في جميع

([470]) أزم وحجاج: العلاقات الدولية والأطراف الفاعلة في المجتمع، زكريا أزم وعبد الفتاح ولد حجاج، ص (27). وتطور القانون الدولي العام في ظل تطور النظام العالمي الجديد، بيرو حمه جان، ص (42/41).

([471]) ابن خلدون، والفرجاني: تاريخ ابن خلدون الفصل السابع والثلاثين أنواع الحروب ومذاهب الأمم، ج1ص (479). أصول العلاقات الدولية في الإسلام، عمر احمد الفرجاني، ص (34).

([472]) سرور: قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد ﷺ للدكتور محمد جمال الدين سرور، أستاذ التاريخ الإسلامي بالقاهرة ص (24).

([473]) أصول العلاقات الدولية في الإسلام، عمر أحمد الفرجاني، المرجع سابق، ص (36/35).

([474]) المرجع السابق، ص (37/36).

([475]) سورة الحجرات، الآية (13).

المستويات المتباينة الدولية، والمجتمعية والجماعية والفردية وفي المجالات كافة السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والثقافية وغيرها في حالات الحرب والسلم. وكان الفقهاء المسلمون قد اهتموا كثيراً لوضع قواعد وأسس القانون الدولي الإسلامي العام، وكذلك قواعد تنظيم العلاقات بين الدول؛ ذلك من أجل وضع الأساس لحضارة إنسانية تشمل العالم بأسره. وذلك لأن الإسلام منهج حياة شامل وكامل وهو منظومة من الأحكام والتشريعات يجمعها عقد واحد، فهو نظام الفكر والعقيدة [476].

ثم أقام الإسلام حضارة إنسانية عالمية كانت المشعل المضيء في عصر كان يسوده الظلم والظلام ترتكز أساساً على تعاليم الإسلام الخالدة التي انتشلت الإنسان من مواطن الجهالة والعبودية وارتقت به إلى المكانة التي تتفق وجلال الخلافة التي منحه الله إياها في القرآن الكريم، لقد أحدثت الدعوة الإسلامية منذ ظهورها أثراً مباشراً في كل المفاهيم السائدة آنذاك سواء كانت الدينية منها أم غيرها في شتى مجالات الحياة وفروعها. وهي بهذا تكتسب صفة الشمولية على جانب العالمية في الدعوة [477]، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[478].

ولما استقر الرسول ﷺ في المدينة، رأى أن يضع نظاماً للحياة العامة فيها فيكون أساساً لتحقيق الوحدة بين أهاليها، فكتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار، كما عاهد اليهود واشترط عليهم وشرط لهم، كان الرسول ﷺ ميالاً للسلم، فلم يلجأ للقتال طيلة إقامته بمكة؛ بل عمد في نشر دعوته إلى مجادلة المشركين وإقناعهم بالدليل والبرهان فلما اشتد أذاهم على المسلمين واضطروهم إلى الهجرة من مكة إلى الحبشة أولاً، ثم إلى المدينة ثانياً، رأى النبي ﷺ أن يوحد بين المهاجرين والأنصار حتى يتيسر الوقوف في وجه أعدائهم [479].

وبهذا المنهج الرباني استطاع النبي ﷺ، بناء الحضارة الجديدة التي استهدفت سعادة الإنسان في المقام الأول حتى يكون في مقدوره النهوض بأعباء الحياة ومتطلباتها، وينبذ كل سبب من أسباب الخلاف التي تؤدي إلى فساد المجتمع الإنساني بكامله وهو الذي جاء الإسلام من أجل إصلاحه وإقامة النظام العالمي الجيد في ظل الأخوة الإنسانية، وحتى يؤكد الشارع هذه الأخوة ذكر أن الاختلاف في اللون والطبع واللسان والمعتقد [480]، حيث يقول سبحانه:﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾ [481].

([476]) المبيضين: أصول العلاقات في الإسلام، مخلد عبيد المبيضين، الطبعة الأول 2012م، المقدمة ص (1).

([477]) الفرجاني: أصول العلاقات الدولية في الإسلام، عمر أحمد الفرجاني، مرجع سابق، ص (15).

([478])سورة سبأ، الآية (28).

([479])سرور: قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد ﷺ للدكتور محمد جمال الدين سرور، أستاذ التاريخ الإسلامي، ص (96/95).

([480]) الفرجاني: أصول العلاقات الدولية في الإسلام، عمر أحمد الفرجاني، مرجع سابق ص (16).

وحينما قويت شوكة المسلمين في المدينة المنورة، بدأت مرحلة جديدة في حياة الصحابة، بعدما تعرضوا لصنوف العذاب في بداية الدعوة الإسلامية، حيث كانت قريش تعذب وتضطهد كل من يدخل الدين الجديد، فمن كانت له قبيلة تحميه حمته قبيلته، ومن لم تكن له قبيلة كآل ياسر فلقد تفننت قريش في تعذيبهم وأرتهم صنوف العذاب. لذا جاء الفرج من أجل حماية هذا الدين والوقوف في وجه المعتدي ومن يصد عن دين الله، بفرض الجهاد ومشروعية الحرب كما قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [482]. **وجه الدلالة بهذه الآية**: أن الله شرع للمسلمين القتال والدفاع عن النفس لأنهم أخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيل نشر الدين.

وبعد أن علمت قريش أن محمداً أصبح صاحب قوة وسيادة ونفوذ في المدينة المنورة، وله قوة لا يستهان بها شعرت بالخوف مما سيفعله بها؛ لأنها أخرجته وقومه من مكة فأخذت تعمل على إيجاد حل لما هي فيه من مأزق. ويجدر بالذكر هنا أن دولة مكة لما أحست بفشل عملها الإعلامي لتأليب الرأي العام ضد قيادة الدولة الإسلامية، ونجاح الدبلوماسية الإسلامية في دحض أعمالها الإعلامية والدبلوماسية في أوساط القبائل العربية، بادرت بفتح قنوات حوارية دبلوماسية مع قيادة الدولة الإسلامية لكسب الرأي العام، بسيادتها على الحرم المكي، وأنها دولة ذات سيادة مستقلة معتبرة عند العرب [483].

ومع هذا كله فإن الإسلام لم يقوم على سفك الدماء، بل القوة التي صنعها إنما لصد العدوان. فأي فكرة لا تنجح إلا مع قوة تحميها من الاعتداء عليها، فالإسلام دين قام على نشر السلام في الأرض وجعل ذلك أصلاً يقوم عليه، وأما غير ذلك من وسائل العنف الأخرى لم تكن فيه يومياً إلا نتاج ظروف استهدفت حماية الدعوة عندما عزم أعداءه على اقتلاعها من جذورها متمثلاً في محاولاتهم قتل الرسول ﷺ أو تحرير الفكر الإنساني ليختار في حرية كاملة الطريق الأصوب الذي يناسبه أو لنصرة مظلوم أو استجابة لمستغيث وهي أمور مشروعة بالعقيدة ومبادئها، وفي هذا من المبررات ما تقر عليه كل الأعراف والعقول في آن واحد في أن الحرب إذا قامت لأي سبب من الأسباب التي ذكرنا فهي ليست حرباً هجومية ولا دفاعية كما نفهمها في عالمنا المعاصر بل هي الحرب الدفاعية بمفهومها الإسلامي الدقيق [484]

([481]) سورة هود، الآية (118).

([482]) سورة الحج، الآية (39).

([483]) سرور: قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد ﷺ للدكتور محمد جمال الدين سرور، أستاذ التاريخ الإسلامي، في القاهرة، ص (23).

([484]) الفرجاني: أصول العلاقات الدولية في الإسلام، عمر أحمد الفرجاني، مرجع سابق ص (18).

المطلب الثالث:

منهج الإسلام في السلم والحرب:

أولاً: منهجه في السلم:

دعا الإسلام إلى السلم في كافة أحواله، فهو يقرر السلم على أنه أصل من أصول العلاقات الإنسانية بين الدول، وحينما قرر ذلك، فهو لا يسمح للمؤمنين أن يتدخلوا في شؤون الدول إلا لحماية الحريات العامة، وعندما يستغيث به المظلومين أو يعتدي على المعتقدين له، فإنه يتدخل حينئذٍ لمنع الفتنة في الدين، فهو يحترم حق كل دولة في الوجود، وحقها في أن تكون سيدة نفسها وحقها في الدفاع عن أراضيها وسيادتها، ولا فرق بين ذلك في دول راقية متحضرة، وأخرى مبتدية أو غير راقية، فإن السيادة حق طبيعي تتمتع به كل جماعة من الناس كما يتمتع به الآحاد على سواء [485].

فالإسلام جاء هاديا للعالم كله، فأرشد من عاصروا التنزيل، وأضاء النور لمن جاءوا بعده، فقرر أن الأصل في العلاقة بين الدول كالأصل في العلاقة بين الآحاد، وهو السلام بصريح القرآن الكريم وبفعل النبي العدنان ﷺ. فالأصل في العلاقات الدولية في الإسلام هو السلم، حتى يكون الاعتداء بالاعتداء على الدولة الإسلامية فعلاً أو بفتنة المسلمين عن دينهم، فالحرب حينئذٍ تكون ضرورة أوجبها قانون الدفاع عن النفس وعن العقيدة وعن الحرية الدينية، ولكون الأصل في العلاقات هو السلم الدائم دعا القرآن الكريم إلى السلم عامة [486]، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ [487].

والناظر المدقق في أحوال النبي ﷺ وكيف كان يُعلم أصحابه في التعامل مع الغير في جميع مناحي الحياة والتطورات التي كانت تستجد عليهم، يجد أن النبي ﷺ لا يخرج عن ثلاث قواعد أساسية بنى عليها الدين في التعامل مع الغير وفي نشر تعاليم الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها، وهي إما أن يدخلوا في الإسلام أو أن يدفعوا الجزية أو الحرب، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: "**وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتها ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم**"[488].

فالإسلام ينشد السَلام الداخلي والخارجي، ويسعى إلى الاستقرار داخل الأمة الإسلامية، وإلى الاستقرار في علاقاتها بالأمم الأخرى، ومما لا شك فيه أن الإسلام جعل السِلم أصلاً في علاقته بالغير فقد وضع الأسس التي

([485]) أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، لمحمد أبو زهرة، ص (50).

([486]) المرجع السابق ص. (51).

([487]) سورة البقرة، الآية (208).

([488]) مسلم: أخرجه مسلم، شرح النووي ج (12) ص (497).

ينبني عليها السِلم حتى يُكتب له البقاء فالأدلة الآمرة بالسِلم لا تؤخذ على إطلاقاتها وإنما يتعين فهم النصوص القرآنية مع بعضها البعض وصولاً إلى النتائج الصحيحة [489].

ثانياً: منهجه في الحرب:

كان العالم يعيش على قانون الغاب، فمن كانت له الغلبة أو القوى وبسط النفوذ والسيطرة، هو الذي يفرض رأيه على غيره، فكانت الدول القوية تعتدي على الدول الضعيفة بحكم أنها الأقوى. فلا تعتدي دولة على أخرى إذا كانت الدولتان متساويتان في القوى والنفوذ أو بينهما عهود ومواثيق. ولا شك أن الحرب في الإسلام ليست هي الأصل في العلاقات، لأن المبادئ التي بنى الإسلام قواعده عليها، لا تسمح بابتداء المسلمين بالحرب، من غير باعث من هذه القواعد يبعث عليها: إما الاعتداء على العدالة أو الكرامة الإنسانية وإما أن تكون حرب. إلا إذا كان من هذه القواعد ما يبررها، فإن قامت فهذه القواعد تحكمها وتقيدها [490].

وقد فرض القتال على المؤمنين، فقد صرح القرآن الكريم بأنه أمر مكروه لهم ولكنه ضرورة ملزمة لهم، من أجل الدفاع عن الضروريات الخمس التي جاءت بها الشريعة الإسلامية "**الدين والنفس والمال والعقل والعرض**"، وكذلك الأمر الدفاع عن الأوطان، وهذا الدفاع مشروع في قوانين وشرائع الأرض قاطبة. وكان النبي ﷺ إذا جهز جيشه للحرب يوصيهم بوصايا، بعدم قتل الشيوخ والنساء والأطفال، وعدم قتل الحيوانات وقلع النباتات والأشجار، وإنما قتال من يقف في وجه الدعوة الإسلامية، ومن يقاتلهم ويحول بينهم وبين الناس في نشر الإسلام ومن يصد عن سبيل الله، هذا المنهج لم يكن معروفاً لديهم قديماً في الحروب، بل كانوا يستبيحون الأعراض والبيوت ويسلبون وينهبون، وربما يصل الأمر بهم إلى التنكيل.

وإذا كان الإسلام الذي هو آخر الأديان السماوية إصلاحاً عامّاً لأوضاع البشر، فإن أحكام القتال فيه إصلاح وتهذيب لمسألة طبيعية فيهم وهي الحرب. إن أحكام الحرب في الإسلام مثال غريب في تاريخ العالم: ماضيه وحاضره يصوِّر الحرب عذاباً تحفُّه الرحمة من جميع جهاته، ويتخلله الإحسان في جميع أجزائه، ولو وازنَاها بالقوانين المتَبعة في الحروب إلى يومنا هذا، وقارنا أسبابها في الإسلام ببواعثها اليوم لوجدنا الفروق أجلى من الشمس [491].

([489]) الفرجاني: أصول العلاقات الدولية في الإسلام، عمر أحمد الفرجاني، مرجع سابق، ص (48/44/43).

([490]) أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام محمد أبو زهرة، ص (51).

([491]) الإبراهيمي: شرعة الحرب في الإسلام، محمد البشير الإبراهيمي (ت 1384هـ - 1965م) ، نُشر عام 1374هـ الموافق 1955م. الرابط: https://dorar.net/article/856:

ولو لم يكن من مظاهر العدل في الإسلام إلا قوانينه الحربية، لكان فيها مقنع للمنصفين باعتناقه، ذلك أن الحرب تنشأ عادة عن العداوات والمنافسات على المصالح المادية، والعداوة من عمل الشيطان، يوريها بين أبناء آدم ليرجعوا إلى الحيوانية الضارية التي لا عقل لها، ولا رحمة فيها، ولا عدل معها، فجاء الإسلام بتعاليمه السامية المهذبة للفطرة المشذب للحيوانية، فحدَّدت أسباب الحرب وأعمالها تحديداً دقيقاً، وحرَّمت البغي والعدوان، وقيَّدتها بقوانين هي خلاصة العدل ولبابه، حتى كأنها عملية جراحية تؤلم دقائق لتترك الراحة والاطمئنان العمر. وما نسبة هذه الأحكام والآداب التي جاء بها الإسلام من قبل أربعة عشر قرناً إلى ما يجري في حروب هذا العصر الذي يدعونه عصر النور والعلم والإنسانية والمدنية إلا كنسبة نور النهار إلى ظلمة الليل [492].

المطلب الرابع:

الدافع على القتال في الإسلام:

وقبل الشروع في الحديث عن الدافع على القتال، لا بد من تمهيد حتى تتضح لنا معالم الحديث، فلا نكون كمن يخض الماء، فالباعث على القتال منذ الأزل كان إما من أجل الماء والطعام أو الموقع الجغرافي أو بسط النفوذ والسيطرة والسلطان، وكانت تقوم حروب طاحنة من أجل ذلك، وربما تستمر سنوات طويلة.

ولا بد من التوضيح في البداية أن جل الفقهاء في الإسلام لم يجعلوا علة الكفر هي الباعث على القتال؛ وإنما جعلوا مناط القتال يدور حول المحاربة والمقاتلة والاعتداء وجوداً وعدماً، وعلى هذا فالكافر لا يُقتل بسبب كفره وإنما يقتل لأسباب أخرى بدليل أن بعض الفقهاء ذهب إلى حد إشراك الكافر في الجهاد ودليلهم على ذلك أن الله سبحانه قد حدد الغاية من قتال أهل الكتاب بقبول معاهدة الذمة ولو كان القتال لعلة الكفر لما قبل منهم غير الإسلام[493]، قال تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ [494]. ولو كان قتالهم بسبب الكفر لما نهى الاسلام عن قتل الشيوخ والنساء مع أنهم كفار.

ولكن لما جاء الإسلام كان له أهداف سامية ومن هذه الأهداف:

([492]) المرجع السابق.

([493]) الفرجاني: أصول العلاقات الدولية في الإسلام، عمر أحمد الفرجاني، ص (85).

([494]) سورة التوبة، الآية (29).

أولاً: دفع الظلم والعدوان:

جاء الإسلام ليرفع الظلم عن المظلومين وينصر المستضعفين، ومن ذلك فعل النبي ﷺ حينما دعي في الجاهلية إلى حلف الفضول فقال لو دعيت إلية في الإسلام لأجبت، فرفع الظلم عن الناس بعدم سلب حرياتهم الفكرية والسياسية وحقوقهم الاجتماعية والثقافية. ولما كان وقوع العدوان وايقاع الظلم على الناس يعتبر في حقيقته سلباً لحرياتهم فالإسلام في هذه الحالة يتدخل لرفع الظلم، والذي جعله سبحانه سبباً من الأسباب التي من أجلها شرع القتال. والإسلام لم يحدد النطاق المكاني الذي يتعين فيه على المسلم أن يتدخل لرفع المظالم بل تركه دون حدود لأن الإسلام كما هو معروف جاء للناس كافة [495]، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [496].

ثانياً: الدفاع عن النفس:

شرع الإسلام الدفاع عن النفس من أي عدوان غاشم عليها، وحفظ النفس والمحافظة عليها من ضروريات الدين، لكن الدفاع عن النفس، لا يكون بالاعتداء على الأخرين والتنكيل بهم بحجة الدفاع عنها، لذلك يكون مقصوراً بما تحفظ فيه النفس من الهلاك، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [497].

ثالثا: حماية الدعوة من العداء:

هيأ الله لهذا الدين رجاله ومن يحفظه من العبث والهلاك قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [498]، فأرسل محمداً وحفظ به الدين ثم هيأ الصحابة من بعده ثم التابعين وتابعيهم والعلماء والصالحين إلى يومنا هذا، وهذا من فضل الله علينا وعلى الناس إذ أوكل حفظ الدين إليه سبحانه.

ومعلوم أن الدعوة الإسلامية في بدايتها مرت بمراحل من التضييق والتنكيل، فلقد عذبت قريش الصحابة في بداية الدعوة بأشد صنوف العذاب فهذا أبو جهل يعذب آل ياسر، وذاك أمية بن خلف يعذب بلال، حتى

([495]) الفرجاني: أصول العلاقات الدولية في الإسلام، عمر أحمد الفرجاني، ص (87).
([496]) سورة النساء، الآية (75).
([497]) سورة البقرة، الآية (94).
([498]) سورة الحجرات، الآية (9).

جاء الفرج وخرج أولئك المستضعفين من ديارهم إلى الحبشة فارين بدينهم، من الظلم الذي وقع عليهم من قريش، فاستقبلهم ملك الحبشة وعاشوا في بلده حتى جاء الفرج ورجعوا الى المدينة المنورة.

وحينما استقر النبي ﷺ في المدينة المنورة بدأت مرحلة جديدة فكوّن النبي ﷺ في هذه الفترة جيشاً وهيئ الصحابة لاستقبال حياةً جديدة من أجل الدفاع عن أي عدوان غاشم من قريش وغيرها. حيث كانت قريش تضع كل العراقيل للقضاء على دعوة الإسلام، إلا أن رسالة السماء جاءت لتضع حداً لهذه الفئة الباغية قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [499].

وقد يكون من السخف أن يفكر إنسان عاقل في أنه يتعين على المسلمين بعد كل هذا أن يقفوا موقف اللامبالاة ويكتفوا بالمجاهدة باللسان والبيان حتى يتم القضاء عليهم وبالتالي على العقيدة. إن مثل هذا الأسلوب يعول عليه عندما يخلى بين العقيدة والناس، أما حين توجد تلك العقبات الكأداء فلا بد من إزالتها أولاً بالقوة لنتمكن عندئذٍ من مخاطبة العقول وهي طليقة من كل الأغلال [500].

رابعاً: نشر الدعوة الإسلامية:

أرسل الله الأنبياء والرسل برسالات السماء إلى الناس ليخرجوهم من الظلمات إلى النور، وما من نبي إلا وكذبه قومه بما جاء به من الحق، فنوح دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وموسى أتهم بالسحر وترك مصر من ظلم وجور فرعون، ومحمدٍ ﷺ أوذي في الله ورمي بالحجارة من سفهاء الطائف وكسرت رباعيته وشج وجهه الشريف وحوصر في شعب أبي طالب، ومع هذا كله لم يثني الرسل والأنبياء عن تبليغ الرسالات، فقد جاءوا بمهام وتكليف من عند رب العالمين.

فهذا موسى عليه السلام رغم إيذاء فرعون له، إلا أن الله أمره بالذهاب إليه ودعوته فذهب إليه موسى وأخاه هارون مخاطباً فرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى بكلام لين لعله يتذكر أو يخشى لكنه العناد والكبرياء أبى أن يستسلم للحق. وكذلك النبي ﷺ أرسل الوفود والرسل في بقاع الأرض لنشر تعاليم الإسلام وإدخال الناس في دين الله، وها نحن اليوم نجني ثمار الدعوة الإسلامية الأولى بأن انتشر الإسلام في بقاع الأرض بخلق الأولين من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين للإسلام.

([499]) سورة البقرة، الآية (190).

([500]) الفرجاني: أصول العلاقات الدولية في الإسلام عمر أحمد الفرجاني، (89/88).

المبحث الثاني

العلاقات الدولية في الإسلام "صلح الحديبة أنموذجاً"

المطلب الأول:

مدخل في فهم صلح الحديبية:

وقبل الشروع في بيان الأبعاد السياسية والدولية لصلح الحديبية لا بد من تمهيد وتأصيل للمسألة، وهنا سأذكر روايات صلح الحديبية كما جاءت في كتب السير والمغازي وكتب الحديث. روى البخاري رحمه الله في صحيحة:" خرج رسول الله ﷺ ومن معه من ذي الحليفة، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وساق أبو بكر بدناً، وطلحة بدناً، وسعد بن عبادة بدناً، وبعث عيناً له من خزاعة وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأطاط أتاه عينه "[501].

فلما بلغ رسول الله ﷺ غدير عسفان ذات الأطاط لقيه بشر بن سفيان الكعبي، فقال: يا رسول الله ﷺ: هذه قريش سمعت بك وخرجت قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله ألا تدخلها عليهم أبدا، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم. فقال رسول الله ﷺ: "**يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلو بيني وبين سائر العرب، فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وآووني، والله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله عليه حتى يظهرني الله**" [502].

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو، أخا بني عامر بن لؤي، إلى رسول الله ﷺ، وقالوا له: ائتِ محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدا، فأتاه سهيل بن عمرو، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً، قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل، فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام، وتراجعا، ثم جرى بينهما الصلح [503].

وذكر الزهري أن النبي ﷺ دعا علي بن أبي طالب فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا أعرف هذا، ولكن اكتب باسمك اللهم. فقال رسول الله ﷺ: اكتب باسمك اللهم، هذا ما صالح عليه محمدٌ رسول الله وسهيل بن عمرو، فقال: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله اسمك واسم أبيك، فقال رسول الله ﷺ اكتب محمد بن عبد الله، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو، على وضع الحرب عشر سنين يأمن بهذا الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى رسول الله من أصحابهم بغير إذن رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله ﷺ لم يرده، وأنه لا إسلال وإغلال [504].

([501]) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية المجلد الثاني (61/5).

([502]) مسند الإمام أحمد: (4/ 323).

([503]) المغازي النبوي، لابن شهاب الزهري، ص (54).

([504]) المرجع السابق، ص (55/54). وأنظر موسوعة السنة: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ص (68/5).

وغضب الصحابة ولم يطب لهم ذلك حتى قال عمر أنعطي الدنية في ديننا يا رسول الله، فأوضح النبي ﷺ للصحابة أن فعله مصلحة للمسلمين، وأنهم سوف يرجعون العام المقبل إن شاء الله تعالى.

فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين، ورجالاً من المشركين، فالذين وقعوا على هذه الاتفاقية من المسلمين: أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أي طالب وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة الأنصاري واثنان من المشركين وهما حويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص بن الخيف [505].

وجاء في نص بنود الصلح ما يلي [506]:

1. الرسول ﷺ يرجع من عامه، فلا يدخل مكة، فإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثاً، معهم سلاح الراكب، السيوف في القرب، ولا يُتعرض لهم بأي نوع من أنواع التعرض.
2. وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض.
3. من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، وتعتبر القبيلة التي تنظم إلى أي الفريقين جزءاً من ذلك الفريق، فأي عدوان تتعرض أي من هذه القبائل يعتبر عدوناً على ذلك الفريق.
4. من آتى محمداً من قريش من غير إذن وليه، أي هارباً منهم رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد أي هارباً منه لم يرد عليه.

ولما فرغ رسول الله ﷺ، من قضية الكتاب قال: "**قوموا فانحروا**"، فوالله ما قام منهم أحد حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا رسول الله، أتحب ذلك؟ أخرج، ثم لا تكلم أحداً كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً، وكانوا نحروا البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة، ونحر رسول الله ﷺ جملاً كان لأبي جهل، كان في أنفه بُرَةٌ(حلقة) من فضة، ليغيظ به المشركين، ودعا رسول الله ﷺ للمحلقين ثلاثاً بالمغفرة وللمقصرين مرة [507].

([505]) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط، المجلد الأول، (182/3).

([506]) المباركفوري: الرحيق المختوم للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، ص (298).

([507]) المرجع السابق، (299).

وهنا خفي على الصحابة رضوان الله عليهم، فعل النبي ﷺ بادئ الأمر، ولم يدركوا قصد النبي ﷺ من فعل ذلك إلا لاحقاً، لكن ما كان لهم إلا التسليم المطلق للرسول ﷺ.

المطلب الثاني:

الحديبية والسياسة الدولية:

عندما خرج الرسول ﷺ من مكة تاركاً خلفة ذكريات عاشها بين جبال مكة ووديانها، لم يطب له ذلك، أن يرى الشرك يترعرع في جنبات مكة، فبدأ بالعمل للعودة إلى مكة منذ اللحظة الأولى لخروجه منها، فربى جيلاً يستطيع أن يعتمد عليه في المهام الصعبة، ثم جهزهم لملاقاة قريش من أجل الرجوع إلى مكة وفتحها. وحينما أصبحت لمحمد وأتباعه قوة لا يستهان بها، استطاع الخروج من دائرة الحصار الإقليمي والدولي، والحصول على الاعتراف الدولي من قريش وقبائل العرب بولود دولة جديدة لها قوانينها وشريعتها بقيادة محمد بن عبد الله ﷺ، إذ أن ليس بالسهل الاعتراف بأي دولة جديدة في ظل الدولتان العظمتان في ذلك الوقت الروم والفرس، ومع ذلك استطاع محمد ﷺ أن يبني دولة ذات سيادة دانت لها العرب والعجم بعد فترة وجيزة.

لذلك كان للنبي ﷺ سياسته الدولية في التعامل مع المجتمع الداخلي والخارجي في المجالات الآتية:

أولا: سياسته في المجال الاجتماعي:

وبعد أن أصبح للدولة الإسلامية، بيت مال وبدأت الغنائم تأتي من كل جانب من الفتوحات والغزوات الإسلامية، أصبح الطامعون في دخول الإسلام كثر، فتألف النبي ﷺ قلوبهم بالمال والنفقة عسى الله أن يشرح صدورهم للإسلام، وهذا من حكمة النبي ﷺ وسياسته في التعامل مع القادمين للدخول في الإسلام وخاصة الأعراب.

وكان ﷺ يعقد المعاهدات مع القبائل العربية لإيجاد تعاون على الخير ويؤيده، ويرد كل تعاون على الشر ويحاربه، ولقد ذهب إلى مكة حاجاً فعلم أن قريشاً تريد منعه فمد يده المسالمة إليهم وهو يقول: "**لو دعتني إلى أمر فيه رفعة البيت الحرام لأجبتهم**". ولقد كان ﷺ من مبادئه التعاون على نصرة الضعيف، وقد حضر وهو في الخامسة والعشرين من عمره حلفاً لبعض أشراف قريش عقد في دار عبد الله بن جدعان تعاقدوا لينصرن الضعيف على القوي، فَسُر ﷺ لذلك سُروراً ظهرت أثاره من بعده [508]، فقد قال الهادي الأمين: "**حضرت بدار عبد الله بن جدعان حلفاً ما يسرني به حمر النعم ولو دعيت به في الإسلام لأجبت**" [509].

([508]) أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، مرجع سابق، ص (26).

([509]) أحمد، رقم الحديث 1567، وهو في السلسلة الصحيحة.

فقد استطاع النبي ﷺ تغيير العادات والتقاليد المخالفة للإسلام، مثل عبادة الأصنام والوثنية ووأد البنات واستغلال الفقراء وعدم الوفاء بالعقود والزنا والسرقة وشرب الخمر، بحيث غرس في نفوس أتباعه أن يكون كل واحداً منهم مسؤولاً عن نفسه وأهله في ترك تلك العادات وأن الرقيب على ذلك هو الله فأصبح مجتمعاً نظيفاً قوياً متماسكاً. فقد كان ﷺ مصلحاً اجتماعياً وأخلاقياً فدافع عن حقوق المرأة والطفل وحافظ عليها ومنع الاعتداء عليها، ووقف مع المظلوم ونصر الحق وردع الظالم عن ظلمة، وهذه صفات لا تجتمع إلا في قائد عظيم كمحمد ﷺ.

ثانياً: سياسته في المجال الاقتصادي:

فلما هاجر الصحابة رضي الله عنهم من مكة إلى المدينة تركوا خلفهم كل ما يملكون من أموال وعقارات فلم يكن بين أيديهم شيء، فعمل النبي ﷺ على المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار فلم يقصر الأنصار في نصرة إخوانهم المهاجرين لكن المهاجرين كانوا أصحاب نفوس عالية فقال بعض الصحابة دلونا على السوق وهذا درس في العفة. **وعند البخاري:" كان الأنصار أصحاب مزارع فقالوا للرسول ﷺ: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، فقالوا لا تكفونا المؤونة، ونشرككم في الثمر، قالوا سمعنا وأطعنا "** [510].

فقد عمل ﷺ على ظهور الإسلام الذي أنشأ حكماً مركزياً قوياً لضعف سلطات شيوخ القبائل المتفرقة في مناطق الصحراء ولنهي كذلك حكم رؤساء العشائر في الجهات المختلفة، مع أن العشائر ظلت موجودة إلا أنها قد طوعت تماماً لإقامة مجتمع قائم على الأخوة في الدين والعمل والمسؤولية مع المساواة في الحقوق والواجبات، ذلك لأن تعاليم الإسلام في تنظيمها لشؤون المجتمع كافة تقوم على أسس خليقة تتصل بعقيدة المسلم يقوم بها طائعاً مختاراً من غير إكراه من ولي الأمر، وعلى هذا الأساس قامت المسؤولية الفردية للكل في أي موضع [511]، قال رسول ﷺ " **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**" [512].

ثالثا: سياسته في المجال العسكري:

بعد أن استقر النبي ﷺ في المدينة المنورة قام بتأسيس الدولة الإسلامية الأولى، ووجه المسلمين للعمل على ثلاثة محاور: **أولاً**: بناء الرجال، **ثانياً**: فن القتال، **ثالثاً**: الجهاد في سبيل الله، وقد نصح الرسول ﷺ أنه يجب أن تسير الأهداف الثلاثة في قناة واحدة، رجل قوي يجيد فن القتال، ذو روح معنوية عالية. ولذا أوصى

([510]) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (2315).

([511]) عثمان صالح: الأحوال الاقتصادية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، بحث في التاريخ، للدكتور أمين معاذ عثمان صالح، ص (89).

([512]) الأدب المفرد للبخاري، رقم (151) ، وصححه الألباني.

الرسول ﷺ رجاله بالاهتمام بالقوة الجسمانية وممارسة الرياضة البدنية وحثهم على إتقان القتال وركوب الخيل [513].

وقد ظهرت حنكة النبي العسكرية وقدرة صحابته وبسالة قتالهم في ساحات القتال، ففي بدر رأينا كيف تعامل مع آبار بدر وكيف أمر بترتيب الصفوف، وفي أحد رأينا كيف خطط، و وضع الرماة على الجبل كمدد له، وكيف كان يختار المواقع ويديرها، وفي الخندق برع في التخطيط الهندسي حيث تم حفر الخندق بطريقة عسكرية لم تخطر على بال المشركين آنذاك بمشورة سلمان الفارسي، وكيف كان يختار القادة وضعهم في أماكنهم، وما تلك المخططات كانت تخرج إلا من رجل عبقري كمحمد ﷺ. لذلك لم يكن العدد والعدة مقياساً في قيادته وغزواته وإنما القدوة والتخطيط والعزيمة واحترام القائد والإيمان الراسخ من أجل نشر الدعوة الإسلامية ودحر الشرك وأهل الضلال [514].

المطلب الثالث:

الحديبية وتعظيم الكعبة وحرمات الله:

إن من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية هو تعظيم حرمات الله سبحانه وتعالى، فقد عمل على ذلك المقصد النبي ﷺ ليل نهار، ويظهر هذا في صلح الحديبية حيث أن النبي ﷺ قبل محاورة القوم حينما أرسلوا له سهل بن عمرو فقال: ﷺ "**والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها**" [515]. **دلالة الحديث**: فقد اعتبر النبي ﷺ تعظيم حرمات الله من أعظم مقاصد الشريعة، حيث بهذا الصلح يحصل النبي ﷺ على هدفين: الأول: تعظيم البيت، والثاني: الحفاظ على صلة الأرحام في مكة، فمعظم الصحاب الذين خرجوا معه للمدينة هم أهل مكة.

يقول ابن القيم: "إن المشركين، وأهل البدع والفجور والبغاة والظلمة إذا طلبوا أمراً يعظمون فيه حرمة من حرمات الله تعالى أجيبوا إليه وأعطوه وعاينوا عليه، وإن منعوا غيرة فيعاونون على ما فيه تعظيم حرمات الله تعالى لا على كفرهم وبغيهم، ويمنعون مما سوى ذلك، فكل من التمس المعاونة على محبوب لله تعالى مرض له، أجيب إلى ذلك كائناً من كان، ما لم يترتب على إعانته على ذل المحبوب مبغوض لله أعظم منه، وهذا من أدق المواضع وأصعبها، وأشقها على النفوس" [516].

([513]) آمين محمد: موقع مداد على الشبكة العنكبوتية للمشرف والمؤسس سعد بن زيد آل محمود، وكتب المقال عيسى آمين محمد، بعنوان قيادة الرسول والفكر العسكري الحديث. رابط الموقع: https://midad.com/article.

([514]) المراجع السابقة.

([515]) أخرجة البخاري في صحيحه حديث رقم (2731).

([516]) ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية، ص (3/ 303).

والناظر في الشريعة الإسلامية يجد أن الإسلام يؤكد حرمات المسلم دمه وماله وعرضه، ومن مسؤولية المسلمين فيما بينهم أن يصونوا هذه الحرمات، حتى يكون كل فرد في المجتمع المسلم أمناً مطمئناً. وقد كان ملحوظاً حرص النبي ﷺ على أن تكون آخر وصاياه تأكيداً على حرمة الدماء والأعراض والأموال، ولا يخفى أن نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة، قد حفلت بالكثير الكثير من الحث على صيانة تلك المحرمات، والترهيب من انتهاكها، هذا فضلاً عن العديد من التشريعات المحكمة الثابتة التي تضمن صيانة تلك الحقوق والحرمات بين المسلمين [517].

لذلك النبي ﷺ عندما فتح مكة هدم وكسر الأصنام أمام أهل قريش كان ذلك أكبر تعظيم لحرمات الله، حتى سمع بها الداني والقاصي ممن يجاور جزيرة العرب، من الروم والفرس، وعدم سفك دماء أهل قريش وقد فعلوا به ما فعلوا هو تعظيم لحرمة الدماء، وعدم تمزيق الروابط والعلاقات الاجتماعية. والحفاظ على الأنفس والعقول التي هي من صلب الرسالة المحمدية ومقاصدها الكلية وتحقيق الأمن والأمان والسلامة والسلام لبني الإنسان في أنفسهم وعقولهم وممتلكاتهم، والحفاظ على أموالهم ودمائهم وأعراضهم، وذلك تحقيقاً لمقاصد الدولة الإسلامية من سياسة الراعي والرعية بالعدل والمساواة والفضيلة، والحفاظ على الكليات الحاجيه والتحسينية للبشرية من مراعاة الصالح العام، والحقوق الإنسانية وسلامة منشآت الأمة [518].

المطلب الرابع:

الحديبية ومبدأ التفاوض والحوار:

لا شك أن الحوار والتفاوض مبدأين متلازمين فلا يمكن أن يكون تفاوض بين دولتين إلا عن طريق الحوار سواء حصل توافق على ما اجتمعوا وتفاوضوا عليه أم لم يحصل، فالتفاوض من الأمور التي يصعب على الإنسان تركها في حل النزاعات على الأرض والمال والمنصب، مهما كان وضعه، سواء كانوا جماعات أو فرادى أو دول. وكذلك الأمر في الحوار فقد كان صلح الحديبية نموذجاً يحتذى فيه في الحوار مع الطرف الآخر، حيث راعى النبي ﷺ مقاصد الشريعة في الحوار مع سهل بن عمرو حينما أرسلته قريش للتفاوض معه ﷺ.

لقد كان الحوار مقرراً في ذهن قيادة الدولة الإسلامية أن عامة الناس لهم خانة معينة ضمن هذه الرسالة الخاتمة سواء أكانوا مسلمين أم كانوا مشركين أم أهل كتاب أم منافقين، لذلك فتحت الدولة الإسلامية الحوار مع دولة محاربة وعدو لدود، على المستويات السياسية والاجتماعية كافة، وهذا هو منطق القيادة

([517]) موقع الألوكة، تعظيم حرمات المسلمين، مقالات: أ د. إسماعيل علي محمد. https://www.alukah.net/sharia/0/116430/

([518]) الفيتوري: صلح الحديبية وأبعاده السياسية المعاصرة، للدكتور عبد الحكيم الصادق الفيتوري، ص (29/28).

الراشدة من موقع السلطة حيث تعرف كيف تعيش وتتعايش مع حقائق مشاكلها الواقعية مجردة بعيداً عن الخوف، أو الميل إلى الأحلام والشعارات، أو التترس بالهروب من الحقائق الواقعية [519].

إن عملية التفاوض لا غنى لأي إنسان عنها بحال من الأحوال، لأنها من العلوم الفطرية للتعايش الإنساني التي تنأى بصاحبها عن اللجوء إلى استخدام أساليب التحكيم والقضاء والعنف، في محاولة التفاهم والتعايش الإنساني. لذلك ترى من سياسة النبي ﷺ الواضحة في الحديبية محاولة فتح قنوات شعبية ورسمية، لطرح قضية التفاوض والتفاهم مع قريش الجاهلية بدلاً من قضية المعركة التي لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى [520].

ونلاحظ هنا أن النبي ﷺ ابتعد عن أسلوب المواجهة، لأن لديه أهدافاً أخرى رغم ما قدم من تكاليف إضافية، فمنع منح الفرصة للطرف الآخر لجره لأسلوب المواجهة. وما أن استقر النبي ﷺ في الحديبية حتى بدأت عملية التفاوض ففي البداية لم يبعث النبي ﷺ شخصاً أو وفداً ليفاوض قريشاً، بل أنتظر أن تبعث قريشاً رسولها وهو شيء مستحسن في عمليات التفاوض، أن تستمع في البداية للطرف الآخر وترى ما بجعبته، قبل أن تدلي أنت بدلوك وكان أول من جاء من قريش للتفاوض رجلٌ يدعى بديل بن وزقاء الخزاعي ومعه نفر من خزاعة، وهم يمثلون الوفد الأول وفريق التفاوض، فلما رأى رسول الله ﷺ رئيس الوفد وهو بديل قال عنه: إنه رجل عاقل، فلذلك فقد كلمه بمنطق العقل، وأخبره أنه لم يأتِ يريد حرباً وإنما جاء زائراً للبيت الحرام ومعظماً لحرمته وأمام هذا العرض المنطقي والعقلاني أقتنع الوفد المفاوض بأحقية النبي ﷺ وأصحابه في زيارة بيت الله وتعظيمه. فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد ﷺ، إن محمداً لم يأتِ للحرب، إنما جاء زائراً لهذا البيت [521].

ولكن قريشاً رفضت الاستماع إلى رجلها ومفاوضها العاقل. ثم أرسلت قريش مفاوضاً أخر "مكرز بن حفص" ورجع إلى قريش بنفس الذي رجع به بديل، وأرسلت أيضا أكثر من مفاوض وبقي الحال بين الحوار والمفاوضات، حتى أستقر الأمر على سهيل بن عمرو وتم الصلح مع النبي ﷺ ومع سهيل وكتبوا بنود الصلح كما مر معنا سابقاً وسمي بصلح الحديبية [522].

نستخلص من طريقة مفاوضات النبي ﷺ مع قريش وحواراته مع رسلها ببعض الدلالات والدروس وهي كما يلي:

([519]) الفيتوري: صلح الحديبية وأبعاده السياسية المعاصرة، للدكتور عبد الحكيم الصادق الفيتوري، ص (19).

([520]) المرجع السابق، ص (31).

([521]) موقع الألوكة، من أشهر عمليات التفاوض في التاريخ، عبد الستار المرسومين، https://www.alukah.net/sharia/0/90551/ .

([522])موقع الألوكة، من أشهر عمليات التفاوض في التاريخ، عبد الستار المرسومين، رابط الموقع: https://www.alukah.net/sharia/0/90551/ .

أولاً: الدلالات من مفاوضات وحوار صلح الحديبية [523]:

1. وضوح إيمان الصحابة رضي الله عنهم فقد أنزل الله السكينة عليهم يوم الحديبية، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [524].
2. اعتراف قريش بالمسلمين قوة ودولة تعاهدها، فهو يعتبر الميلاد الرسمي لدولة الإسلام، حيث اعترفت معظم الدول العربية المجاورة بدولة الإسلام بعد أن اعترفت بها قريش رسمياً، وهو من أعظم ثمار صلح الحديبية.
3. انتشار الإسلام في الجزيرة العربية، بعد الصلح بشكل كبير جداً، فالذين أسلموا بعد صلح الحديبة حتى فتح مكة يفوق عددهم أضعاف من أسلموا منذ بداية الدعوة الإسلامية مروراً بجميع مراحلها.
4. عودة مهاجري الحبشة إلى المدينة المنورة، بعد أن مكثوا فيها ما يقارب ثلاث عشرة سنة، وهم في الحبشة، فلما عادوا إلى المدينة وجدوا أن المسلمين أصبح لهم كيان، فزادوا قوة المسلمين قوةً إلى قوتهم.
5. قدوم المسلمين من القبائل المختلفة الأخرى، ثم تعاهدت قبائل كثيرة مع رسول الله ﷺ وما كانت تجرؤ على ذلك.
6. بدأت المراسلات النبوية من رسول الله ﷺ إلى عموم زعماء العالم في كل مكان، فقد راسل فارس وكسرى وزعماء العالم يدعوهم إلى الإسلام، أما قبل الصلح فما أرسل الرسول ﷺ رسولاً واحداً إلى أحد.
7. بدأ صناديد مكة وزعمائها يفكرون جديداً في الإسلام، فقد أسلم خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن أبي طلحة، ثم بعد ذلك أبي سفيان بن حرب، فنصر الله بهم الإسلام.
8. تفرغ الرسول ﷺ لليهود فبعد الصلح أمن جانب قريش ثم توجه إلى خيبر، وهزم قريش هزيمة نفسية نكراء.

ثانياً: أما الدروس والعبر المستفادة من مفاوضات وحوار صلح الحديبية فهي كما يلي:

أ- اليقين بأن شرع الله لا يأتي إلا بالخير في الدنيا والآخرة، وعدم استعجال النتائج.

ب- أن تلتمس القيادة لجنودها الأعذار في بعض المواقف، وأن يستمع الجند للقائد في الأزمات.

ت- الثقة في القيادة، وهذا عامل مهم في المفاوضات، فقد تأخذ القيادة قرارات لا يدرك الجنود كامل أبعادها.

([523]) السرجاني: الدروس المستفادة من صلح الحديبية للدكتور راغب السرجاني.

([524]) سورة الفتح، الآية (4).

المطلب الخامس:

الحديبية ومبدأ المصالحة والمحالفة:

أولاً: مبدأ المصالحة:

ليس من منهج النبي ﷺ عمل نزاعات وخلافات بينه وبين الدول في الداخل والخارج، حيث أنه بعث مصلحاً وهادياً للناس موحداً لهم جامعاً لشملهم مخرجهم من الظلمات إلى النور، فلا يمكن لمن يحمل هذه الصفات أن يكون صاحب تفرقة أو جور أو ظلم، إذ أنه عمل ليل نهار من أجل إدخال الناس في دين الله.

تعتبر المصالحة والصلح والهدنة والمحالفة والمواعدة من نتاج الحوار والتفاوض والتشاور وإحلاله محل المواجهة والاشتباك، وفق دبلوماسية ذكية تستطيع أن تحفز هذه القوى على أن تعمل في إطار من التعاون أو التنسيق المشترك لحفظ السلام الثنائي، خاصة إذا كانت قوة الإسلام ضعيفة مقارنة بقوة الأعداء [525]، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [526]، قال ابن كثير في تفسيرها (إن جنحوا) أي مالوا (للسلم فاجنح) أي فمل إليها، واقبل منهم ذلك. ولها لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح، ووضع الحرب بينهم وبين الرسول ﷺ تسع سنين أجابهم.

ويفهم أيضاً بطريق الإشارة أن هناك سياسة باهرة عظيمة النفع منها: تقرير مشروعية مبدأ المصالحة مع أي عدو كائن من كان بشرط تحقيق مصلحة المسلمين، وعدم الاستهانة بدين رب العالمين، وإن كان في هذه المصالحة احتمال مفسدة يسيرة مقابل درء مفسدة عظيمة أو قد يكون لتحصيل خير الخيرين ودفع شر الشرين كما هو مقرر في فقه الموازنات والمقاصد [527].

ويبدوا لنا هنا أن هناك شروط ليست من شروط المصالحة بين الدول نجملها فيما يلي [528]:

1. ليس من شروط المصالحة أن تظهر فوائدها جلية لكل أفراد الأمة والجماعة المسلمة.
2. وكذلك ليس من شروط المصالحة أن يبدأ العدو بطلب المصالحة والصلح، بل على القيادة المسلمة فعل ذلك متى رأت مصلحة الأمة أو الجماعة بادرت بطلب الصلح والمصالحة من خلال استراتيجية أمنية محكمة.

([525]) الفيتوري: صلح الحديبية وأبعاده السياسية والمعاصرة، للدكتور عبد الحكيم الصادق الفيتوري، ص (43).

([526]) سورة الأنفال، الآية رقم (61).

([527]) المرجع السابق الفيتوري: صلح الحديبية، ص (44/43).

([528]) المرجع السابق.

يقول ابن القيم: في معرض تحليله السياسي لصلح الحديبية "ومن فقه الفتح الأعظم: جواز صلح أهل الكتاب على وضع الحرب عشر سنين وهل يجوز فوق ذلك الجواب أنه يجوز للحاجة والمصلحة الراجحة، كما إذا كان بالمسلمين ضعف، وعدوهم أقوى منهم، وفي العقد ما زاد عن العشر مصلحة للإسلام [529].

ثانياً: مبدأ المحالفة:

وردت شواهد كثيرة تدل على جواز المحالفة بين الدولة الإسلامية والدول الكافرة بعد المفاوضة والمصالحة، وخير دليل على ذلك ما نتحدث عنه الآن وهو صلح الحديبية. حيث عقد النبي ﷺ حلفاً مع قبيلة خزاعة بعد فراغه للتو من كتابة الصلح بينه وبين دولة قريش، وكان فحوى الحلف الذي عقده النبي ﷺ مع خزاعة، أن تقوم خزاعة بمناصرة دولة الإسلام الحليفة على دولة قريش الجاهلية إذا غزتها أو نقضت عهدها معها، وبالضرورة ليس هذا الحلف أو الاتفاق مقتصراً على الطرفين فقط، بل الباب في ذلك مفتوح لمن شاء من قبائل العرب أو غيرهم أن يدخل فيه، ولا يخفى أن ذلك فيه توسعة لدائرة الإسلام والنفوذ في الجزيرة العربية بأسرها [530].

يقول ابن كثير رحمه الله :(كان في صلح الحديبة أنه من شاء أن يدخل في عقد وعهد محمد دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فتواثبت خزاعة وقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر وقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهراً، ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بماء يقال له الوتير وهو قريب من مكة. وقالت قريش: ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا من أحد، فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله ﷺ وأن عمرو بن سالم ركب عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير حتى قدم على رسول الله ﷺ بخبير [531]، وقد قال أبياتاً شعرية، فلما قدم على رسول الله أنشده إياها [532].

يا رب إني ناشدٌ محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلادا

وقد ذكر أبو الحسن الشيباني، صاحب أبي حنيفة رحمه الله في معرض حديثه عن صلح الحديبية وأبعاده السياسية والدبلوماسية: "إنه كان بين أهل مكة وأهل خيبر من المواطأة على رسول الله ﷺ إذا توجه إلى أحد الفريقين أغار الفريق الآخر على المدينة فوداع أهل مكة حتى يأمن جانبهم إذا توجه إلى خيبر" [533].

([529]) ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم: ص (304/3).

([530]) الفيتوري: صلح الحديبية وأبعاده السياسية والمعاصرة الحكيم، للدكتور عبد الصادق الفيتوري، ص (52).

([531]) المرجع السابق، ص (53).

([532]) ابن كثير: البداية والنهاية لابن كثير، ص (278/4).

([533]) الشيباني: السير الكبير لأبي حسن الشباني، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية: ص (298/1).

ذلك كانت الجزيرة العربية تقف موقف الحائر مما يجري حولها، لمن ستكون الغلبة والسيطرة وبسط النفوذ، مما يحصل مع محمد والدول الأخرى، لذلك كان النبي ﷺ يدرك تماماً وهو يخوض تلك الاتفاقيات والمعاهدات بالأخذ بسياسة الموازنات وفقه المصالح والمفاسد، لذلك كانت سياسة تحييد قريش واختراقها بخزاعة، وشق صفها بالاتفاقيات أمر ضروري، وبعد استراتيجي فيه بعد نظر لما سيجري في المستقبل، ثم بالفعل تم سقوط قريش بعد سنتين ونصف من توقيع هذه الاتفاقية الاستراتيجية [534].

المبحث الثالث

مقاصد الحديبية وفقه المعاهدات والاتفاقيات

المطلب الأول:

مقاصد الشريعة في فقه المعاهدات والاتفاقيات:

لقد حاول الرسول ﷺ أن يعيش هو والمسلمون في جو هادئ مسالم مع من يجاورونهم من القبائل والدول، ولم يَسْعَ لقتال قط، بل كان دائماً مؤثراً السلم على الحرب، والوفاق على الشقاق، لذلك سعى بشكل جدي لمعاهدة قريش حينما طلبت ذلك منه، رغم ما تعرض له هو وأصحابه في مكة من أذى قريش وتعذيبها لهم بشتى السبل، وإنما يدل هذا على حرص النبي ﷺ على مدى سماحته ومع أعدائه وحبه للسلام حفاظاً على دماء صحابته وتعظيماً لبيت الله [535].

ولو تأملنا في شروط صلح الحديبية من منظر مقاصدي سياسي، لوجدناه على الجملة قد اعتنى اعتناءً واضحاً بكليات المقاصد وأهدر جزئياتها التي يمكن تحصيلها في إطار (**ما لا يدرك كله لا يترك جله**) [536]، (**والميسور لا يسقط بالمعسور**)[537]، ولو وقفت متأمل بنظرة عابرة لفحص وتحليل هذه البنود لحكم عليها وللوهلة الأولى، بأنها بنود جائرة قد أهدرت كليات وجزئيات المنظومة السياسية في العلاقات الخارجية جملة وتفصيلاً، وهو محق في إصدار هذا الحكم عليها، وهذا ما حدث بالفعل لبعض الصحابة رضوان الله عليهم حين رجعوا إلى المدينة وأخذوا يفكرون في تلك البنود السياسية من دون عمق سياسي، ونظر مقاصدي وربط تاريخي للأحداث السابقة باللاحقة [538].

ولكن ما يجب التأمل فيه هو منطق العقلية القيادية، ونظرتها السياسية العميقة، وربطها للأحداث، وتقديرها لمصالح الأمة الكلية، وموازنتها بين الكليات والجزئيات بميزان سياسي عميق، وبعد استراتيجي دقيق،

([534]) الفيتوري: صلح الحديبية وأبعاده السياسية والمعاصرة، مرجع سابق، ص (59/58).

([535]) السرجاني: معاهدات الرسول مع المشركين، للدكتور راغب السرجاني، موقع قصة الإسلام، https://www.islamstory.com/ar/artical/277/1

([536]) الصرامي: مجلة العلوم الشرعية والعربية، المؤلف: عبد اللطيف بن سعود بن عبدالله، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلد والعدد 6 .

([537]) محمد صدقي: كتاب الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، محمد صدقي آل بورنو ، القاعدة العشرون، ص (396).

([538]) الفيتوري: صلح الحديبية وأبعاده السياسية والمعاصرة الحكيم، للدكتور عبد الصادق الفيتوري، ص (78).

وهذا ما ينبغي أن تكون على نسقه قيادات العمل الإسلامي حركة ودولة في سعيها السياسي نحو الدولة والتمكين [539].

ثم إن من أروع ما في معاهدات الرسول ﷺ هو الجانب العملي التطبيقي، حيث أنه ﷺ رفض استقبال أبي بصرة تطبيقاً لما قد كتبه في المعاهدة، وهو رجل من قريش أسلم وفر بدينه من ظلم قريش حينما علم بقدوم النبي ﷺ إلى الحديبية، فالنبي ﷺ لم يرده لأنه لم يرد له الإسلام وإنما يريد أن يحافظ على الاتفاقيات، فهو لا يخل بالعهود، فهو يعلم أن الله لن يترك عباده المؤمنين، فما هو إلا وقت قصير حتى قبلت قريش أن يتبع أبو بصير بمحمد بعدما تعرض لقوافلها على الساحل.

ولا يخفى على أحد أن ظاهر هذه البنود من الظلم والحيف، والجور والضيم للمسلمين ما الله به عليم، ولكن باعتبار النظر إلى المقاصد العظمى عند قائد الدولة الإسلامية الأولى ﷺ، كان الظلم والحيف والجور والضيم جزئياً قياسياً أمام الكليات الكبرى التي قد تحققت بالفعل بعد إبرام هذا الصلح، وحققت انتصارات مقصديه استراتيجية لصالح الدولة الإسلامية على مستوى قطاعات واسعة دعوية، واجتماعية، وإنسانية، واقتصادية، وسياسية، وعسكرية حربية [540]. يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المقام**:" وصالح المشركين صلح الحديبية المشهور، وبذلك الصلح حصل من الفتح ما لا يعلمه إلا الله، مع أنه قد كان كرهه خلق من المسلمين، ولم يعلموا ما فيه من حسن العاقبة "[541].

وهنا لا بد من المرور على الشروط الواجب توفرها في المعاهدات، وهي على النحو الآتي [542]:

1. يجب ألا تخالف حكماً شرعياً، من الأحكام المتفق عليها لأن الالتزام بالأحكام الشرعية واجب بالنص الشرعي يقول ﷺ: " ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط فقضاء الله أحق وشرط الله أوثق " [543].
2. الرضا: ويمثل الركن الثاني في أي معاهدة إذ بدونه لا تكون كذلك وإنما تكون أمراً من قوي إلى ضعيف وهذا لا صلة له بالمعاهدات لأن الإرادة تكون مسلوبة في هذه الحالة، وبالتالي يكون كل ما بني عليها من تصرفات تقع باطلة، لأنها نتجت عن إكراه والإكراه في كل الأعراف والشرائع مبطل للعقد.

([539]) المرجع السابق، ص (79).

([540]) الفيتوري: صلح الحديبية وأبعاده السياسية والمعاصرة الحكيم، للدكتور عبد الصادق الفيتوري، ص (80/79).

([541]) ابن تيمة: مجموع الفتاوى، لسيخ الإسلام ابن تيمية: ج (35) ص (60).

([542]) الفرجاني: أصول العلاقات الدولية في الإسلام، عمر أحمد الفرجاني، ص (117/116/115).

([543])الألباني: سيل الاسلام ج (3)ص(13). الألباني صحيح الجامع حديث رقم (1356)، من حديث عائشة أم المؤمنين.

3. أن تكون بينة لا لبس فيها ولا غموض حتى لا تؤول تأويلاً يكون مثاراً للاختلاف عند التطبيق، لأن المعاهدات شرعت لدرء المشاكل لا إلى زيادتها، وما أكثر المشاكل التي وقعت نتيجة صياغة المعاهدات والاتفاقيات بصيغة غير محددة. وقد جعل البعض شرط الكتابة والتاريخ وموافقة الإمام وتحديد المدة من الشروط المستقلة.

ويمكن أن نجمل المقاصد الكلية التي قصدتها الدولة الإسلامية مقابل إهدار بعض الجزئيات التي لم تتمكن من الحصول عليها نظراً للظروف السياسية المحيطة بها، والملابسات الحربية وشيكة الوقوع فيها **يقول ابن تيمية**: "هذه الكليات السياسية يجب أن تدور في موطن لها السياسات العامة والخاصة للدولة الإسلامية في مرحلة الدعوة والتأسيس، والدولة والتمكين، فيقول: إن مقصود الرسل: حفظ النوع البشري، وإقامة مصالحه، ومعاشه، ومعاده. ثم يقول في موضع آخر: والرسل بعثوا بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان. وفي موطن آخر يقول: وإن الدين تحصيل الحسنات، وتعطيل السيئات والمفاسد "[544].

المطلب الثاني:

مقاصد الحديبية والاعتراف بالدولة الإسلامية دولياً:

ومن فقه النبي ﷺ في بناء الدولة أنه استطاع وبكل جرأة وعبقرية فذة، أن يجعل قريش تعترف به وبدولته الإسلامية الجديدة، التي بدأت معالمها الحضارية والدينية والإنسانية، تظهر من خلال تعامله ﷺ وصحابته مع الآخرين. وقد كان ﷺ صاحب حكمة في الدعوة إلى الله أخذ الاعتراف من أفواه المشركين ففي بداية الدعوة الإسلامية حينما أمره الله بالجهر بالدعوة، وتبليغ الدين للناس وقف ﷺ في وسط مكة على صخرة الصفا في مكان معروف لهم ونادى وقال يا صباحاه وهي كلمة كانت معروفة لديهم وهي للتحذير من خطر قادم عليهم حتى يستعدوا لملاقاته.

فلما اجتمع القوم قال لهم ﷺ أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا: ما جربنا عليك كذبا أنت الصاق الأمين، فلما أخذ الموثق منهم بأنه الصادق الذي لا يكذب، قال: لهم إني رسول رب العلمين بشير ونذير بين يدي عذاب شديد، فهنا ﷺ استطاع بحكمته في الدعوة أن يأخذ منهم ما يريد ويعطيهم ما يريد.

[544] مجموع الفتاوى، مرجع سابق، ج. ص (99/4) / (943/8) / (366/1).

ومما لا شك فيه أن النبي محمد ﷺ استخدم استراتيجية حرب الاستنزاف التي تقوم على الاستهلاك التدريجي لقوة الخصم بما يؤدي إلى إرهاقه والنيل من معنوياته، والإضعاف المستمر لمقدرته على الرد والمقاومة، ولاجتناب سياسة الحروب الاستنزافية وإلغاء الآخرين، كان من الضروري السعي لتحقيق مبدأ الاعتراف المتبادل بكياني الدولتين من كلا الطرفين، والانفتاح على العالم الخارجي على الأصعدة والمستويات كافة الدبلوماسية والتجارية والفكرية التعليمية والعسكرية.

فدولة قريش اعترفت بدولة الإسلام حين أبرمت معها صلح الحديبية، لأن المعاهدة عادة لا تكون إلا بين ندين وبالمقابل فقد اعترفت دولة الإسلام اعترافاً وجودياً وليس شرعياً بسيادة دولة قريش الجاهلية على تلك الحدود الجغرافية، وذلك حين قبلت بمبدأ مفاوضة قريش وعقد الصلح معها، والرجوع في هذا العام والقدوم في العام القادم [545].

إن أي دولة في أيامنا هذه تنتظر الاعتراف بها أو تطالب به بعد قيامها مباشرة وإلا قوى احتمال سقوطها وسقوط القائمين بها، فهل تكون نتائج الاعتراف وعدمه متشابهة في الماضي والحاضر، أو أن ظروف العالم اليوم تختلف اختلافاً واضحاً عن ظروفه في الماضي، ومهما كان الاختلاف بين عالم اليوم وعالم الأمس، فإن قيام أي دولة ولو في الماضي بحاجه إلى الاعتراف بها وبمنهجها لأن لها علاقات متعددة بغيرها من الدول في العالم الذي نشأت فيه فلم تقم لتعيش في عزلة كلية أو جزئية عن عالمها [546].

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه من تتمة الاعتراف الدولي للدولة الإسلامية الجديدة بقيادة النبي محمد ﷺ، التي أقامها في المدينة المنورة، كان جلياً بالرسول الكريم ﷺ أن يُعَرف الدول المجاورة بهذه الدولة الناشئة كدولتي فارس والروم اللتان تعتبران القوتان العظمتان في ذلك الوقت، فبدأ ﷺ بإرسال الوفود إلى القبائل العربية المجاورة والدول غير العربية كفارس والروم يدعوهم إلى الإسلام، ويخبرهم بظهور الدين الجديد والدولة الجديدة بقيادة الرسول محمد ﷺ.

وجدير بالذكر أن أعرج على بعض رسائله ﷺ إلى الملوك والزعماء [547]:

أولاً: رسالته إلى النجاشي أصحمة رحمه الله، ملك الحبشة وحملها عمرو بن أمية الضمري.

ثانياً: رسالته إلى المقوقس زعيم مصر، وحملها حاطب بن أبي بلتعة اللخمي.

ثالثاً: رسالته إلى قيصر ملك الروم، وحملها دحية بن خليفة الكلبي.

([545]) الفيتوري: صلح الحديبية وأبعاده السياسية المعاصرة، للدكتور عبد الحكيم الصادق الفيتوري، ص (69).

([546]) سرور: قيام الدولة العربية الإسلامية، للدكتور محمد جمال الدين سرور، مرجع سابق، ص (95).

([547]) السرجاني: موقع رسائل الرسول للأمراء والملوك مقال للدكتور راغب السرجاني،https://www.islamstory.com/ar

رابعاً: رسالته إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، وحملها العلاء بن الحضرمي.
خامساً: رسالته إلى هودة بن علي ملك اليمامة، وحملها سليط بن عمرو العامري.
سادساً: رسالته إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك دمشق، وحملها شجاع بن وهب الأسدي.

وبعد هذا العرض الموجز في الاعتراف الدولي للدولة الإسلامية في ذلك الوقت، يجب على رجال السياسة وقيادات المشروع الإسلامي أن يعملوا جادين على نهضة الأمة من جديد كما فعل نبيها ﷺ من قبل، فقد قدّم الغالي والنفيس من أجل قيام دولة الإسلام ونشر الدين في بقاع المعمورة.

بل الواجب عليها أن تحافظ على المبادئ والسنن الشرعية والكونية، وتسعى من خلال تلك السنن في إطار التمكين لدولة الإسلام وحمايتها حتى تصل بالأعداء إلى مرحلة اليأس والإحباط على المستويات كافة من عدم جدوى ممارسة الضغوط لإلغاء وجود الدولة الإسلامية إقليمياً ودولياً [548].

هذه هي الحقيقة التي يجب على قيادات المشروع الحضاري الإسلامي أن تعلمها وتصير عليها حتى تصل بالأعداء إلى اليأس والقنوط من إلغاء الدولة الإسلامية ومشروعها الحضاري، ثم العمل على ذلك اليوم الذي يرجع فيه عز الإسلام والمسلمين بالتمكين والنصر وبذلك تتم النعمة.

المطلب الثالث:

مقاصد الهدنة بين الدول في ضوء الحديبية:

يأتي الحديث عن الهدنة بعد عرض المحاور السابقة من بيان وتوضيح سلسلة المحاورات والمفاوضات بين النبي ﷺ وقريش، فهي تأتي كنتيجة لتلك المحاورات والمفاوضات، وهي بمثابة توقعات لما سيحدث بعد تلك المفاوضات، لذلك الهدنة تحمل في معانيها الكثير، فمنها الهدنة الحربية والفكرية والاقتصادية وربما الدينية وهي أخطرُها وقد يكون يقصد بها منع انتشار الدين، وقد تتفاوت تلك الهدن في خطورتها بحسب الزمان والمكان والمفاوضين.

لذلك يجوز للدولة الإسلامية توقيع اتفاقيات متنوعة من الهدنة حسب مواقعها الاستراتيجية وخطورتها التكتيكية، ولكن يجب عليها ألا تنسى خطورة توقيع هدنة فكرية مفادها منع تبليغ دعوة التوحيد، لأن ذلك

[548] الفيتوري: صلح الحديبية وأبعاده السياسية المعاصرة، مرجع سابق، ص (72/71).

يناهض مجمل أهداف الرسالة الإسلامية من دعوة الناس إلى الإسلام، أو الجزية، أو الهدنة، أو الحرب إن شاءوا [549].

فالجاهلية حريصة كل الحرص على أن توقع الدولة أو الحركة الإسلامية أي هدنة دعوية توحيدية معها لكي تحفظ لها ماء وجهها، وتمد في عمرها وطغيانها، لهذا فإن صلح الحديبية على الرغم من اشتماله على خطوط عريضة في العمل السياسي إلا أنه كان خالياً تماماً من أي بند مفاده منع تبليغ دعوة التوحيد سراً أو جهراً [550].

يقول الإمام القزويني الشافعي والحاجة والمصلحة في المهادنة قد تظهر عند ضعف المسلمين، أو تكون عند قوتهم، بأن يُطمع في إسلامهم، وأن الكفار إذا طلبوا الهدنة فإن كان فيه مضرة على المسلمين فلا يخفى أنهم لا يُجابون، وإن لم يكن فظاهر المذهب أي (الشافعي) أنه لا يجب الإجابة أيضاً. ولكن الإمام يجتهد ويُحافظ على الأصلح من الإجابة أو الترك [551].

لا ريب عند أهل العلم أن اتفاقية الحديبية كانت بعد معركة الأحزاب التي قامت بين الدولة الإسلامية ودولة الجاهلية بمكة، فإذا كان ذلك كذلك فلا يخفى جواز دخول جماعة مسلمة مسلحة في قضايا الحلول السلمية، بعد حملها السلاح وإن كان ذلك مع من قاتلها بالسلاح، وتلك سنة النبي ﷺ كما هو مقرر في كتب السنن والسير، إلا أن ذلك الجواز يخضع لقواعد السياسة الشرعية، والمصالح والمفاسد ومراعاة المنظومة السياسية الاقليمية الدولية من حيث الكر والفر، والمد والجز، والحضور والغياب... [552].

فصلح الحديبية: والذي اعتمد عليه الفقهاء اعتماداً كبيراً في تأصيل مفهوم الهدنة وشروطها وأحكامها، فصلح الحديبية يتميز عن كثير من عقود الصلح بحسن توثيقه أحداثاً وميثاقاً من خلال صحاح السنة وكتب السيرة بل وقرآناً. وتميّز توثيقه بأدق التفاصيل وأصغرها، وهذا ما لا تجده في كثير من عقود الصلح، ناهيك عن أهميته التاريخية والدينية [553].

وعندما دخل المسلمون مكة، نفذت قريش ما أخذته على نفسها، فصعدت في التلال حيث ضربت الخيام حتى لا يقع ما يعكر صفو العلاقات بين الفريقين غير أن جماعات منها وقفت عند دار الندوة تتطلع إلى المسلمين أثناء طوافهم ببيت الله الحرام، واتخذ المسلمون الحيطة لدرء أي خطر يتعرض له الرسول ﷺ أثناء

([549]) الفيتوري: صلح الحديبية وأبعاده السياسية، مرجع سابق، ص (50).

([550]) المرجع السابق، ص (51).

([551]) القزويني: العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير/ تأليف الإمام أبي القاسم الرافعي القزويني الشافعي ج11 – دار الكتب العلمية – ص (555/553).

([552]) المرجع السابق.

([553]) الحسيني: الهدنة وأحكام الصلح في الإسلام، بقلم يوسف حسونة الحسيني. https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2006/11/27/64577.html

طوافه حول الكعبة وسعيه بين الصفا والمروة، فقاموا على حراسته خشية أن يتعدى عليه أحد سكان مكة [554].

ثم لبث المسلمون بمكة ثلاثة أيام، أتموا خلالها فرائض العمرة، وزار المهاجرون منه دورهم التي تركوها، ثم أمرهم النبي ﷺ بالعودة إلى المدينة فوصلوا إليها في آخر سنة 7 هجري [555].

أخذت قريش بعد صلح الحديبية تغير نظرتها إلى النبي ﷺ وتغير حكمها عليه، وأصبحت ترى أنه قرشي على الرغم من العداوة بينها وبينه، يجمعه وإياها نسب واحد، وصارت تعجب بنفسها بعلوا شأنه ونجاحه السياسي مما حمل بعض رجالاتها كعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن أبي طلحة، على الهجرة إلى المدينة ومبايعة الرسول ﷺ على الإسلام [556].

وبعد الانتهاء من صلح الحديبة، وفتح مكة، أستقر النبي ﷺ في المدينة المنورة ونهى عن الهجرة من مكة، وبدأ الإسلام بعدها بالانتشار الواسع في ربوع الأرض، وحمل الصحابة همّ الدعوة وتفرقوا في بقاع الأرض يبلغون دين الله، وهذا من فضل الله على الصحابة رضوان الله عليهم.

المطلب الرابع:

مقاصد الشورى في ضوء صلح الحديبية:

لقد بنى رسول الله ﷺ دولته الإسلامية في المدينة على مبدأ الشورى، قال تعالى: ﴿**وشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾ [557]، ذلك أنَّ مبدأ الشورى من أخطر المسائل في تسيير شؤون المسلمين انطلاقاً من الفرد مروراً بالأسرة والمجتمع وانتهاءً بالحاكم المسؤول عن الرَّعية، وبما أنَّ لنا القدوة الحسنة في رسول الله ﷺ، نلقي الضوء على جانب تطبيقي لهذا المبدأ المهم، والذي يبين لنا مقصد الشورى جلياً، حينما شاور النبي ﷺ الصحابة في الخروج لأداء العمرة صلح الحديبية: عندما علم رسول الله ﷺ أن قريشاً جمعت له الجموع وأنهم سيصدونه عن البيت وقد جاء معتمراً [558]، فقال ﷺ : "**أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ البَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِلَّا**

([554]) سرور، والمقريزي: قيام الدولة العربية الإسلامية، مرجع سابق، ص (124) ، امتاع الاسماع للمقريزي، ج (1) ص (338/337).

([555]) ابن هشام: سيرة ابن هشام ج (3) ص (436).

([556]) المقريزي: امتاع الاسماع للمقريزي، ج (1) ص (254).

([557]) سورة آل عمران، الآية (159).

([558]) غزوات النبي: (السيد الجميلي)، القسم: السيرة النبوية، الكتاب: غزوات النبي ﷺ، المؤلف: السيد الجميلي، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٦ هـ عدد، الصفحات: ١٥٣، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١، ص(100)موقع بصائر، مقال بعنوان وأمرهم شورى بينهم، الرابط: https://basaer-online.com/2010/10/2010-10-28-11-01.ru

تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا البَيْتِ، لاَ تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلاَ حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ. قَالَ: امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ" [559]، **وجه الدلالة:** مشاورة النبي ﷺ للصحابة والأخذ بمشورتهم.

و وقد عقد النبي صلح الحديبية مع قريش وكتبت بنود الوثيقة، وعندما تم الصلح على أن يرجع رسول الله ﷺ وأصحابه هذه السنة، أمر الرسول ﷺ الصحابة بالنحر والحلق والتحلل من العمرة، فلم يقبل أحد ما أمر به فدخل على أم سلمة وكلمها في ذلك وهو مهموم مغموم، فأشارت عليه أن يخرج ولا يكلم أحداً، ويحلق ويذبح، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً.حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غما وقد حلق رجال يوم الحديبية، وقصَّر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: يرحم الله المحلقين. قالوا: والمقصَّرين يا رسول الله؟ قال: يرحم الله المحلقين قالوا: والمقصَّرين يا رسول الله؟ قال: يرحم الله المحلقين. قالوا: والمقصرين يا رسول الله؟ قال والمقصرين [560].

وهنا يتجلى لنا مبدأ الشورى حيث أخذ النبي ﷺ برأي أم المؤمنين أم سلمة، فقد كان رأيها صواباً سديداً، كما أنه لا فرق في الإسلام بين أن تأتي المشورة من رجل، أو امرأة ما دامت مشورة صائبة، وهذا عين التكريم للمرأة التي يزعم أعداء الإسلام: أنه غمطها حقَّها وتجاهل وجودها، وهل هناك اعتراف واحترام لرأي المرأة أكثر من أن تشير على نبي مرسل، ويعمل النبي ﷺ بمشورتها لحل مشكلة اصطدم بها، وأغضبته. فمبدأ الشورى في الإسلام من مقاصد الشريعة الإسلامية، فكما تجلت حكمة النبي ﷺ في الشورى في صلح الحديبية، تجلت أيضاً في مواطن كثيرة، منها غزوة بدر فقد شاور النبي كبار الصحابة في ملاقاة قريش عند آبار بدر، وفي أحد أخذ بمشورة الصحابة فخرج لملاقاة قريش خارج المدينة، وفي الخندق أخذ برأي سلمان الفارسي في حفر الخندق ومواجهة الأحزاب، والسيرة مليئة بالمواقف التي شاور النبي الصحابة وأخذ برأيهم [561].

الخاتمة

وفي الختام خلص هذا البحث إلى أهم النتائج والتوصيات:

أهم النتائج:

1. إن الإسلام منهج حياة، شامل لكل مناحي الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية والعسكرية فهو نظام كامل متكامل.

([559]) رواه البخاري، حديث رقم.(4178)

([560]) سيرة ابن هشام، ص (308) ، والرحيق المختوم. غزوات النبي: (السيد الجميلي)، ص (100).

([561]) المراجع السابقة.

2. بيان كيف استطاع النبي ﷺ أن يغير جيل كامل بأخلاقه وصفاته وعاداته وتقاليده، وصناعة جيل فريد من نوعه.
3. التحول والاستجابة للرسول ﷺ بعد الدخول في الإسلام، بعد أن تحول الصحابة من رعاة أبل وغنم إلى قادة أمم.
4. الصبر على مشاق الدعوة في الأزمات هو الذي يصنع القيادات والانتصارات.
5. الاستماع للقائد والإنصات له، وإتباع أوامره وهو يدير الأزمات، فلا بد من التروي قبل صدور الأحكام على القائد بالجبن
6. تحقيق الأهداف قد لا تكون مبكراً، لذلك قد ننزل عند رغبة العدو من أجل التمهيد للوصول للهدف الأساسي النبيل.
7. إن الإسلام ما جاء لسفك الدماء، ويظهر ذلك في تعامل النبي ﷺ مع كفار قريش حيث قبل الرجوع عام الحديبة.
8. حرص النبي ﷺ على إدخال الناس في دين الله أفواجا، ويظهر ذلك في كل موقف له في الحديبية وغيرها من مواقفه.
5. إن التكتيك السياسي، والقيادة تحتاج إلى رجل يدرك فقه المالات كالنبي ﷺ فهو يعلم أن الله ناصر هذا الدين.
6. إن الإسلام يحافظ على العهود، ويعمل على الانفتاح على دول العالم الداخلي والخارجي، بهدف نشر رسالة الإسلام.
7. إن مبدأ الشورى من مقاصد الشريعة الإسلامية، التي جاءت لتبين أهميته.

التوصيات:

1. العمل على دراسة كل حدث من أحداث السيرة النبوية، وتطبيقها كنموذج للعلاقات الدولية.
2. التعمق في تحليل محتوى النصوص النبوية والغوص في مكنونات فهم مراد رسول الله ﷺ منها لتكون منهجاً للباحثين.
3. اتخاذ منهج الرسول ﷺ في التعامل مع الأزمات كدستور للقادة في التعامل مع الكفار وغيرهم في العلاقات الدولية.
4. العمل من قبل أهل العلم على ترسيخ مفاهيم الحديبة وما جرى فيها من أحداث للناس بشتى الوسائل المتاحة.
5. العمل على وضع دستور بشتى المجالات، هذا الذي يستفاد منه من منهج النبي ﷺ ليكون مرجعاً لمن يتولى القيادة.

6. إنه من الممكن صياغة وكتابة صلح الحديبية بطريقة جديدة تركز على عبقرية محمد ﷺ في التوجيه السياسي.
7. العمل على إدخال الدراما الهادفة في إيصال حدث صلح الحديبية حتى ينشأ جيل عظيم كعظم صحابة رسول الله ﷺ.

فهرس المصادر والمراجع:

1. **أحمد**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، بلد النشر: القاهرة، الناشر: دار الحديث، سنة النشر: 1416 هـ - 1995 م.
2. **أحمد حمد**: الجانب السياسي في حياة الرسول، للدكتور أحمد حمد، كلية الشريعة قطر. الطبعة الأولى 1402هجري، دار القلم الكويت، شارع السور، ص، ب 20146.
3. **الألباني**، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، الناشر: مكتبة المعارف، نشر: 2006م.
4. **البخاري**، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، صحيح البخاري- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الطبعة: الأولى، بلد النشر: بيروت، الناشر: دار طوق النجاة، سنة: 1422هـ
5. **البغوي**، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة: الثانية، بلد النشر: دمشق، بيروت، الناشر: المكتب الإسلامي -دمشق، سنة النشر: ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
6. **البيهقي**، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، الطبعة: الأولى: بلد النشر: الرياض، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، سنة النشر: ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
7. **التبريزي**، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: 741هـ) مشكاة المصابيح، المحقق: ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1985عدد الأجزاء: 3.
8. **الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج: 1،2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج:3)، إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج: 4،5)، الطبعة: الثانية، بلد النشر: مصر، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395 هـ - 1975 م.

9. **ابن تيمية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، 1408هـ - 1987م، عدد الأجزاء: 6.
10. **الجرجاني**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ
11. **الجلالين**، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: 864هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تفسير الجلالين، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء: 1.
12. **ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، الطبعة: الأولى، بلد النشر: بيروت، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر:1408 هـ - 1988 م.
13. **ابن حجر**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، الطبعة: الأولى، بلد النشر: بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: 1415هـ-1995م.
14. **ابن حجر**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بلد النشر: بيروت، الناشر: دار المعرفة.
15. **ابن خلدون**: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ) المحقق: خليل شحادة الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م عدد الأجزاء: 1.
16. **بو داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، سنن أبي داود، المحقق: شعَيب الأرناؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الطبعة: الأولى الناشر: دار الرسالة العالمية، سنة النشر: 1430 هـ - 2009 م.
17. **الرافعي**: العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: 623هـ) المحقق: علي محمد عوض - عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م عدد الأجزاء: 13
18. زكريا أزم: العلاقات الدولية والأطراف الفاعلة في المجتمع الدولي، المؤلفون زكريا أزم وعبد الفتاح ولد حجاج، بحث لنيل شهادة الإجازة في القانون العام، سنة 2013-2014 م.
19. **أبو زهرة**: العلاقات الدولية في الإسلام، للإمام محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد بن عبد الله، المولود سنة 1316هجري، القاهرة دار الفكر العربي 1995، مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر.

20. **السيوطي**، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، الطبعة: , 1الناشر: دار الكتاب العلمية، سنة النشر: 1983/1403.
21. **ابن شهاب الزهري**: كتب السيرة والمغازي لمحمد بن مسلم شهاب الزهري ت 124هـ /742م، وهذه المغازي لم تفقد ولكنها طعت بتحقيق الاستاذ سهيل زكرا طبعة دار الفكر سنة 1401هـ
22. **الشيباني**: السر الكبير: محمد بن الحسن الشيباني: شرح السير الكبير المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ الناشر: الشركة الشرقية للإعلانات الطبعة: بدون طبعة تاريخ النشر: 1971م عدد الأجزاء: 5
23. **الصنعاني**: المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير كتاب سبل السلام (المتوفى: 1182هـ) الناشر: دار الحديث الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ عدد الأجزاء: 2
24. **الطبراني**، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، المحقق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد - أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، بلد النشر: القاهرة، الناشر: دار الحرمين، عام النشر: ١٤١٥ هـ.
25. **عبد الوهاب**: العلوم السياسية والعلاقات الدولية، للدكتور عبد الوهاب محمد خالد، الجنادرية للنشر والتوزيع.
26. **عثمان صالح**: الأحوال الاقتصادية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة في التاريخ، الأمين معاذ عثمان صالح.
27. **عمر الفرجاني**: أصول العلاقات الدولية في الإسلام، عمر أحمد الفرجاني، دار اقرأ للطباعة والترجمة والنشر والخدمات الإعلامية، الطبعة الثانية 1397من وفاة الرسول.
28. **الغزالي**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، إحياء علوم الدين. الناشر: دار المعرفة – بيروت، عدد الأجزاء: 4.
29. **القرضاوي**: السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها، للدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط 4 1432هـ.
30. **القرضاوي**: فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة، للعلامة الإمام يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط 8 1429هـ.
31. **القرطبي**، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، بلد النشر: القاهرة، الناشر: دار الكتب المصرية، سنة النشر: 1384هـ 1964م.
32. **الفيتوري**: صلح الحديبية وأبعاده السياسية المعاصرة، تأليف الدكتور عبد الحكيم الصادق الفيتوري، باحث إسلامي واستاذ جامعي، الطبعة الثالثة دار المدني السعودية 2005 م.

33. **ابن القيم**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، شارك في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، الطبعة: الأولى، بلد النشر: المملكة العربية السعودية، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع سنة النشر:1423 هـ.

34. **ابن القيم**: زاد المعاد في هدي خير العباد المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة: السابعة والعشرون , 1415هـ /1994م عدد الأجزاء :1

35. **ابن كثير**: المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي البداية والنهاية (المتوفى: 774هـ) تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م سنة النشر: 1424هـ / 2003م عدد الأجزاء:21 (20 ومجلد فهارس).

36. **ابن كثير**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة: الأولى، بلد النشر بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، سنة النشر: 1419 هـ

37. **ابن ماجه**، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بلد النشر: بيروت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

38. **المباركفوري**: الرحيق المختوم المؤلف: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: 1427هـ) الناشر: دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع) الطبعة: الأولى عدد الأجزاء: 1

39. **مجمع اللغة**، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.

40. **محمد سرور**: قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد ﷺ، الدكتور محمد جمال الدين سرور. استاذ التاريخ الإسلامي كلية الآداب جامعة القاهرة، دار الفكر العربي.

41. **مخلد المبيضين**: أصول العلاقات الدولية في الإسلام، المؤلف مخلد عبيد المبيضين، عمان الأردن، الطبعة الأولى 1433هـ.

42. **مسلم**، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، صحيح مسلم -المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم-, المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، بلد النشر: بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي.

43. **موسى شاهين**، الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الناشر: دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، 1423 هـ - 2002 م، عدد الأجزاء: 10.

44. **الموسوعة**، الفقهية الكويتية، الطبعة الرابعة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

45. **النسائي**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (المتوفى: 303هـ)، المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة: الثانية، بلد النشر: حلب، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، سنة النشر:1406هـ– 1986م.

46. **التفسير الميسر**، نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، 1430هـ - 2009 م.

47. **ابن هشام**: السيرة النبوية لابن هشام المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ) المحقق: طه عبد الرؤوف سعد الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة عدد الأجزاء: 2

48. غزوات النبي: (السيد الجميلى)، القسم: السيرة النبوية، الكتاب: غزوات النبي ﷺ، المؤلف: السيد الجميلى، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٦ هـ، عدد الصفحات: ١٥٣، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١.

<u>الأبحاث والمواقع الإلكترونية ذات العلاقة بالموضوع:</u>

- **يوسف الحسيني**: بحث في الهدنة وأحكام الصلح في الإسلام بقلم: يوسف حسون الحسيني https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2006/11/27/64577.html
- **موقع رسائل الرسول:** للأمراء والملوك مقال للدكتور راغب السرجاني،https://www.islamstory.com/ar.
- **معاهدات الرسول**: مع المشركين، للدكتور راغب السرجاني، موقع قصة الإسلام https://www.islamstory.com/ar/artical/277/1.
- **موقع الألوكة**: من أشهر عمليات التفاوض في التاريخ، عبد الستار المرسومين، https://www.alukah.net/sharia/0/90551/
- **موقع مداد:** على الشبكة العنكبوتية للمشرف والمؤسس سعد بن زيد آل محمود، وكتب المقال عيسى آمين محمد، بعنوان قيادة الرسول والفكر العسكري الحديث.http://midad.com/article/202703 .